التشيع في ندوات القاهرة

سماحة آية الله العلامة
السيد محمد تقي الحكيم



مؤسسة الإمام علي (ع)
ومركز الارتباط بسماحة آية الله العظمى
السيد السيستاني (دام ظله)



التشيع

في ندوات القاهرة

التشيع

في ندوات القاهرة

سماحة آية الله العلامة
السيد محمد تقي الحكيم
دام ظله

مؤسسة الإمام علي (ع)
مركز الارتباط بسماحة آية الله العظمى
السيد السيستاني دام ظله - في لندن

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
بيروت - لبنان
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م



لبنان - بيروت - ص.ب: ٨٥/٢٥ الغبيري - هاتف: ٨١٣٤٣٨(٠٣)
فاكس: ٧٦١٩٤٢(٠٧) E-Mail: tajdeed@hotmail.com

مؤسسة الامام علي(ع)
Imam Ali (AS) Foundation
مكتب الارتباط بسماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله)
5 SNEYD ROAD - WILLESDEN GREEN - LONDON NW2 6AL
BN BOX 8445 - LONDON WCIN 3XX, U. K.
TEL.: +44(0) 181 - 452 8270 - FAX: +44(01) 181 - 830 6858
WILLESDEN GREEN STATION

E-mail: questions@seestani.org Web: http:// www.seestani.org

Charity Registration N0: 1075650
Copyright 1999 Imam Ali Foundation
First Published in 1999
ISBN 1 - 902268-03-2


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

يشرفني ان اقدم للقراء الكرام كتاب «التشيع في ندوات القاهرة» لسماحة آية الله العلاّمة السيد محمد تقي الحكيم(دام ظله).

والكتاب مجموعة من الحوارات الفكرية دارت على هامش مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية المنعقد في القاهرة بدعوة من مشيخة الأزهر عام ١٩٦٤م، وقد سجلها مندوب مجلة الايمان النجفية في لقاءات عدة مع سماحة سيدنا الحكيم(دام ظله) إثر عودته من القاهرة بعد حضوره المؤتمر المذكور، ونشرتها المجلة في الاعداد: السابع والثامن والتاسع والعاشر من سنتها الأولى، والعددين: الثالث والرابع من سنتها الثانية ١٩٦٤، ١٩٦٥م.

وتتميز طريقة الحوار بعرض هادئ متدرج تُسلِم فيه المقدمة

الى نتيجتها بمنطقية عميقة مصحوبة بسعة صدر على تقبل الرأي الآخر، وتلك سمة تلحظ بوضوح في شخصية سيدنا(دام ظله) يعرفها من جالسه أو حاوره أو درس عنده أو صحبه.

ولقد تتلمذت عليه أربع سنوات في كلية الفقه في النجف الاشرف، وحضرت بعدها دروسه العالية في مرحلة البحث الخارج، فوجدت فيه وزملائي الطلبة رغم كثرة عددهم، وتباين أهوائهم، ومشاربهم، واختلاف خلفياتهم الفكرية، وأماكنهم القلب المفتوح، والصوت الخفيض، والثغر الباسم، والصدر الرحيب على استماع القول والقول الآخر وصولاً الى الحقيقة وإدراكاً للصواب، بتواضع جمّ، وخلق عالٍ رفيع، ينطبع عليه الطالب فيصدر عنه في قابل أيامه بتلقائية بسيطة.

كما وجدت فيه الأب المربي الذي يشغله رغم كثرة مشاغله همُّ الطالب، فيفسح له من وقته وجهده ليلاً ونهاراً ما يروي ظمأه، ويسكن روعه ويحثه على الاستزادة منها ما وسعه الى ذلك الجهد سبيلا.

ورغم سنوات المحنة والمرض يعكف سماحته(دام ظله) الآن على كتابة كتابه الكبير «القواعد العامة في الفقه المقارن»، ومراجعة

كتابه المهم «عبد الله بن العباس» مقدمة لإعداده للطبع، بدأب الباحث المثابر، لم تثنه عدم قدرته على مسك القلم عن الاستمرار في مشروعه العلمي، ولم تقعد به صعوبة النطق على الاملاء، عن حثّ الخطى باتجاه المعرفة.

ومؤسسة الإمام علي(ع) إذ تقدم لقرائها الكرام هذا الكتاب القيِّم مخرجةَ آياته وأحاديثه، تدعو الله عزّ وجلْ أن يمنَّ على سيدنا الأستاذ المؤلف(دام ظله) بالشفاء العاجل والعمر المديد لما فيه خير الإسلام والمسلمين إنه نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين، وصل الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

السيد مرتضى الكشميري
ممثل سماحة آية الله العظمى
السيد السيستاني (دام ظله) / لندن
والمشرف على مؤسسة الإمام علي (ع)
١٧ ربيع الأول ١٤٢٠هـ
١ تموز ١٩٩٩

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا»[1].

وأفضل الصلاة وأزكى السلام على من جعله الله للكتاب ترجمانا مبينا، وعلى آله الطيبين الطاهرين صفوة أولي النهى ومصابيح الدجى، ومن استودعهم رسول الله بأمر الله علم الكتاب فكانوا به الدعاة الى الحق على بصيرة حتى يأتي وعد الله، لا يحتجب علمهم بظلم ظالم ولا إنكار معاند ممن: «يريدون ليطفئوا نور الله بأفواهم والله متم نوره ولو كره

---

١ ـ سورة الكهف آية ١.

الكافرون »[٢].

فلن يفلح أولياء الشيطان في إطفاء نور الله وطمس حججه وبيناته، مهما صدق عليهم إبليس ظنه ووسوس لهم بإنكار وصية محمد صلى الله عليه وآله وتحريف رسالته، بعد إن جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا: «ويقول الذين كفروا لست مرسلا، قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب »[٣].

وبعد

فإن مما امتن الله تعالى به على كاتب هذه السطور أنه اتفق له أثناء زيارته لندن في سبتمبر ١٩٩٨م أنه التقى باحثاً كريماً هو السيد عبد الهادي بن السيد العلامة آية الله محمد تقي الحكيم أحد اكبر المراجع بين علماء المسلمين في النجف الأشرف، فاطّلعت على كتاب كان بيده يضم مجموعة من الأحاديث التي أجرتها مجلة «الايمان» النجفية مع السيد والده على اثر عودته من القاهرة بعد حضوره مؤتمر البحوث الاسلامية الذي عقد في

---

٢ ـ سورة الصف آية ٨ .

٣ ـ سورة الرعد آية ٤٣.

رحاب الأزهر الشريف عام ١٩٦٤م (١٣٨٤هـ).

ثم قدر الله تعالى فالتقينا في لندن للمرة الثانية خلال زيارتي للمركز الإسلامي في إنجلترا لإلقاء بعض المحاضرات، فعدت مع أخي السيد عبد الهادي الحكيم الى استذكار موضوع أحاديث السيد الحكيم الوالد وعبَّرت له عما تركته في نفسي من إحساس عميق يزيد اليقين يقينا بصوابية ونورانية خط علماء مذهب أهل البيت في سائر ما يصنفون ويكتبون.

ثم كان أن حمَّلتني مؤسسة الامام علي(ع) ومكتب الارتباط بسماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني في لندن مشكورة مأجورة أن أكتب مقدمة لكتاب يتضمن هذه الأحاديث.

فكانت هذه السطور التي أكتبها ـ علم الله ـ وأنا في غاية الإشفاق من مقدمة لا تستشرف الى ذروة المعاني التي تُقَدِم لها.

فأقول وبالله تعالى التوفيق.

إنَّ أول ما لفت نظري واسترعى انتباهي أن ينطوي حديث مع محرر مجلة على هذه الأجوبة الثرية بالمعرفة اليقينية، التي ليس

من شأنها أن تتوفر إلا في بحث تمّ إعداده مسبقاً وحشد له الجهد والوقت والمراجع، وهو إن دلَّ على شيء فإنما يدلّ على استيعاب دقيق للواقع، وتحليل عميق للوقائع، واستذكار واعٍ لآيات كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، الأمر الذي استوقفني وحفزني على المضي في قراءة الأحاديث بإحساس الذي وقع على معالم ينبوع فكري متدفق، فضلا عما يزين صاحبه من أدب وتواضع وعرفان بفضل الجهة الداعية الى المؤتمر.

هذا العرفان الذي حدا به أن يستهل جوابه بالحديث عن مجمع البحوث بالأزهر الشريف فيقول معرفاً ومستفيضاً نظام الأزهر بعد تطويره:

مجمع البحوث مؤسسة انبثقت فكرتها عن الأزهر الشريف في نظامه الجديد لتحل محل هيئة كبار العلماء التي كانت قائمة فيه قبل تطويره، وهو يتكون من خمسين عضواً من كبار علماء الاسلام يمثلون جميع المذاهب، وقد عرفته المادة ١٥ من نظام الأزهر بقولها: «مجمع البحوث هو الهيئة العليا للبحوث الاسلامية وتقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث وتعمل على تحديد الثقافة الاسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب

وآثار التعصب السياسي والمذهبي وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفي كل بيئة، وبيان الرأي فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة وحمل تبعة الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتعاون جامعة الأزهر في توجيهه الدراسات الاسلامية العليا لدرجتي التخصص والعالمية»، وكوسيلة من وسائل تحقيق أهدافه عقد هذا المؤتمر ودعا اليه طائفة من علماء الاسلام من أكثر البلاد الاسلامية.

والقارئ لهذا الجواب يحصل على رؤية طيبة عن رسالة مجمع البحوث الذي انبثق عنه قانون تطوير الأزهر، ويدرك أن هذا التطوير جاء خطوة إيجابية على طريق الإصلاح الديني الذي نادى به الشيخ محمد عبده ومن بعده الشيخ محمود شلتوت وغيرهما من الرواد الذين أسهموا في تنقية وتجريد الثقافة الإسلامية من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسي والمذهبي، وبيان الرأي فيما يجدُّ من مشكلات مذهبية أو اجتماعية.

ورغم وزن كوكبة العلماء المدعوين الى هذا الملتقى العلمي

الإسلامي في رحاب الأزهر الشريف كانوا كما وصفهم السيد في أجوبته من أكابر العلماء، فقد كان مما يورث الأسى أنهم يشهدون على أنفسهم بعدم إحاطتهم بمذهب الشيعة الإمامية الذي هو مذهب أهل البيت(ع)، وتتضح العلة في عدم هذه الإحاطة عندما يتجلى لدى زيارة مكتبة الأزهر ـ أقدم جامعة إسلامية مع النجف الأشرف ـ أن هذه المكتبة لا تحتوي أياً من المراجع العلمية للمذهب الإمامي الإثنى عشري!!

وسوف يظفر القارئ لأجوبة سماحة السيد الحكيم على تحليل منطقي علمي دقيق لمسألة العصمة، وحتمية افتراضها للرسول صلى الله عليه واله وسلم في سائر ما يصدر عنه من قول أو فعل أو تقرير، دون تفريق بين عصمة في التبليغ لا تتعداه الى ما سواه، وبين سائر الشقوق الأخرى التي زعم من زعم أنها خارج نطاق العصمة.

كما أوضحت الدراسة أن الأسباب الموجبة لإثبات العصمة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، هي بذاتها موجبة لإثبات العصمة للأئمة من بعده، إذ العلة واحدة وهي ضمان سلامة المورد عن الله تعالى ورسوله، فلا يكفي أن يكون الرسول

معصوماً في ما يؤديه عن ربه الى الأمة حتى يكون الأئمة من بعده معصومين في ما يؤدونه عن الرسول الأعظم صلوات الله عليهم جميعاً الى الأمة.

ثم إن الدراسة كشفت عن هذا الفارق الدقيق بين الاجتهاد عند الشيعة والاجتهاد عند أهل السنة، وهو فارق يقود الى مفارقة تحتاج الى استظهار.

إذ المعلوم أن الشيعة ينزلون النصوص الواردة عن الأئمة المعصومين نفس المنزلة التي ينزلونها للنصوص الواردة عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم، مما يعني أن الاجتهاد عندهم لا يجوز في ما ورد فيه نص، إلا باعتبار الاجتهاد في فهم النص، ومن ثَمَّ تبدو دائرة الاجتهاد عندهم أضيق مما هي عند أهل السنة الذين تأسست مدرستهم على القول باقتصار النص على الكتاب والسنة محصورة في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفعله وتقريره في ما يبلّغه عن ربه، مما يعني أن دائرة الاجتهاد عندهم أكثر اتساعاً.

غير أن ما يدعو الى الاستغراب أن أهل السنة استجازوا لأنفسهم القول بغلق باب الاجتهاد عند حدٍّ زمني معين (القرن

الرابع الهجري) بينما يقوم الفقه الشيعي على قاعدة الاجتهاد الذي لا يقبل الانغلاق بحال، مما يجعله فقهاً قادراً على مواجهة مستحدثات الأمور على الدوام.

إنَّ المطالع لهذا السفر المتضمن لأجوبة آية الله السيد محمد تقي الحكيم على أسئلة مندوب مجلة الايمان حول الحوارات التي دارت بينه وبين سائر علماء المسلمين المدعوين لمؤتمر البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف يلمس عن قرب عدداً من الحقائق الأتية:

أ ـ إنَّ الحوار العلمي الهادى والمتأني كان ولا يزال هو الطريق الأقوم لمقارنة الأفكار والمذاهب وسبر غور الفلسفات والعقائد بعيداً عن حمَّى التعصب الأعمى الذي يتستر به الجهّال من غلاة أتباع المذاهب المقيدين بأغلال الجمود والتقليد.

ب ـ إن الأزهر الشريف وكل جامعة إسلامية تعمل على خدمة الإسلام وإظهار حقائقه وفضح أباطيل خصومه، تحسن صنعاً إذا سارت على تبني عقد مثل هذه المؤتمرات التي تثري العقول بالمعرفة الصحيحة وتزوِّد القلوب بالذكرى التي تنفع المؤمنين وتجمع شمل المسلمين على كلمة سواء.

جـ ـ أن علماء الشيعة المحققّين مدعوون الى المبادرة الى الاسهام في هذا المؤتمرات وإفساح الصدر لكل حوار علمي يدور فيها وعدم الضيق بأي سؤال أو مراجعة، لأن وظيفة العالم المتمكن هي استيعاب كل حوار مهما كانت منطلقاته ابتغاء الوصول الى الحق.

د ـ أن آية الله السيد محمد تقي الحكيم قد قدَّم للمعرفة الإسلامية المقارنة بهذا الإسهام المتميز في مؤتمر البحوث الإسلامية زادا من المعرفة والتعريف بمذهب أهل البيت باستخدام المنطق العقلي القائم على الاستدلال المستضيء بالنصوص، فجمع بين رحلة العقل ووثاقة النقل مما دعا العلماء المحاورين أن يقدِّروا فكره وأجوبته حقَّ التقدير، وأن يقفوا من خلال هذه الأجوبة على الأسس المكينة التي يقوم عليها مذهب أهل البيت الذي يجمع بين احترام النص والاجتهاد.

هـ ـ إنَّه بمقارنة الحجج والبيِّنات التي استدل بها آية الله السيد الحكيم على إثبات العصمة للرسول وآله الطاهرين ولزوم ذلك لإثبات الدين، يتبين أنَّه قد وفِّق الى وضع أنوار على طريق الدراسة المقارنة بين المذاهب الإسلامية، بصورة غير مسبوقة من

حيث الكيف، وإن سبقه في ذلك غيره من علماء الشيعة، أخص صاحب المراجعات آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين. وتأتي أجوبة آية الله السيد الحكيم في إطار أكثر إقناعاً من سابقتها لدى القراء، وبخاصة من أتباع المذاهب السنية من زاويتين:

١ ـ في حين كانت المراجعات حواراً مرموزاً الى طرفيه بغير بيان كافٍ عن ظروف الحوار ومكانه وزمانه، تأتي أجوبة آية الله السيد الحكيم في حوار معلوم الزمان والمكان والأشخاص المتحاورين ضمن مؤتمر عقد في رحاب أقدم جامعة إسلامية متمثلة في الأزهر الشريف.

٢ ـ ويترتب على الزاوية الأولى أن المدَّعين بان الحوار التاريخي المعروف في المراجعات يبقى غير موثق بأي مصدر آخر، سيقفون عاجزين حيث يظفر الحوار الذي شارك فيه آية الله السيد الحكيم بالتوثيق بما هو ثابت في مدونات ووثائق المؤتمر، وما تناولته به الصحف والمجلات المختلفة في مصر وخارجها، والذي يأتي حوار (مجلة الايمان) شاهداً عليه على سبيل المثال لا الحصر.

وأخيراً فإن المأمول من السيد الجليل أن يستكمل وضع الرسائل التي ألمح اليها في إجاباته بقصد استقصاء سائر جوانب المسائل محلِّ البحث، والرجاء من الله تعالى أن يمد في عمره حتى ينجز هذا السفر فيضيء به طريق الحيارى الباحثين عن الحق.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

المستشار
الدمرداش زكي العقالي
رئيس محكمة الاستئناف السابق
عضو مجلس الشعب المصري السابق
لندن في ٢١ صفر ١٤٢٠هـ
٦ / ٦ / ١٩٩٩م

المؤلف في سطور

ـ ولد سماحته في مدينة النجف الأشرف بالعراق عام ١٩٢٤م ولا يزال يسكنها.

ـ نشأ نشأة علمية بتوجيه من والده(قدس) وأعلام أسرته فدرس علوم العربية والمنطق والبلاغة والفقه وأصول الفقه والفلسفة والتاريخ على أيدي الأساتذة الأجلاء العلماء الأعلام السيد محمد حسين الحكيم، والشيخ نوري الجزائري، والسيد صادق السيد ياسين، والشيخ علي ثامر، والسيد يوسف الحكيم، والسيد حسن الحكيم، والسيد محمد علي الحكيم، والشيخ محمد رضا المظفر، والسيد موسى الجصاني، ثم حضر دروس البحث الخارج في الفقه والأصول والفلسفة على أيدي الآيات العظام السيد محسن الحكيم(قدس)، والسيد أبو القاسم الخوئي(قدس)، والشيخ حسين الحلي(قدس)، والسيد ميرزا حسن البجنوردي(قدس).

ـ درّس السطوح العالية في الفقه والأصول والفلسفة لطلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف سنوات عدة.

ـ قام بتدريس البحث الخارج في الفقه على متن كتاب «المكاسب» للشيخ مرتضى الأنصاري(قدس)، وأصول الفقه على متن كتاب «الكفاية» للشيخ الآخوند الخراساني(قدس) في حوزة النجف الأشرف العلمية.

كما درّس طلاب البحث الخارج علم أصول الفقه مقارناً بآراء أئمة المذاهب الاسلامية الأخرى، وعلم القواعد الفقهية مقارناً بآراء أئمة المذاهب الاسلامية الأخرى كذلك، وذلك في حوزة النجف الأشرف العلمية، وسجّل طلابه تقريرات دروسه في هذين العلمين الجليلين.

ـ أسس مع عدد من الأعلام «جمعية منتدى النشر» في النجف الأشرف وواكب نشاطها لأكثر من ربع قرن، ودرّس في كليتها «كلية منتدى النشر» النحو، والصرف، والبلاغة، والأدب، والتاريخ، والفقه، والأصول، وعلمي النفس والاجتماع ابتداءً من عام ١٩٤٤م.

ـ أسس مع عدد من المفكرين «المجمع الثقافي لمنتدى النشر»

عام ١٩٤٣م، وساهم في نشاطاته الثقافية المختلفة.

ـ أسس مع عدد من العلماء «كلية الفقه» في النجف الأشرف عام ١٩٥٨م، وتولى تدريس علوم أصول الفقه المقارن، والقواعد الفقهية المقارنة، وفقه اللغة، والتاريخ الاسلامي، والأدب وتاريخه، وتاريخ التشريع الاسلامي، وعلمي الاجتماع والنفس فيها مما يكشف عن موسوعية معرفية كبيرة.

ـ انتُخب عميداً لكلية الفقه في النجف الأشرف عام ١٩٦٥م وشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٧٠م.

ـ تولى تدريس أصول الفقه المقارن بمعهد الدراسات الاسلامية العليا بجامعة بغداد عام ١٩٦٤، ولعدة سنوات.

ـ منحته جامعة بغداد درجة (بروفيسور) عام ١٩٦٤م بقرار من مجلس الجامعة.

ـ أشرف على العديد من الرسائل الجامعية لطلبة الدراسات العليا، وناقش مجموعة من رسائل الماجستير والدكتوراه فيها كما ترأس بعضاً من لجان المناقشة.

ـ أختير خبيراً علمياً أكاديمياً لترقية بعض حملة الشهادات

العليا من اساتذة الجامعات لرتبة جامعية أعلى.

ـ انتخب بالإجماع عضواً عاملاً بالمجمع العلمي العراقي عام ١٩٦٤م بترشيح من علامتي العراق المرحومين الشيخ محمد رضا الشبيبي والدكتور مصطفى جواد، ومثّل المجمع في عدد من المؤتمرات العلمية.

ـ انتخب عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٦٧م.

ـ انتخب عضواً بمجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٧٣م.

ـ انتخب عضواً بمجمع اللغة العربية بالاردن عام ١٩٨٠م.

ـ انتخب عضواً بمجمع الحضارة الاسلامية الأردني عام ١٩٨١م.

ـ دعي لحضور العديد من المؤتمرات والندوات العلمية في البلاد العربية وغيرها، وشارك في جملة منها، من ذلك:

١ ـ المؤتمر الأول لمجمع البحوث الاسلامية المنعقد بالقاهرة بدعوة من مشيخة الأزهر عام ١٩٦٤م.

٢ ـ المؤتمر المشترك بين مجمعي اللغة العربية بالقاهرة، والمجمع العلمي العراقي المنعَقد ببغداد عام ١٩٦٥م.

٣ ـ المؤتمر المشترك بين مجمعي اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي العراقي المنعقد بالقاهرة عام ١٩٦٧م.

٤ ـ مؤتمر دراسة أحرف الطباعة العربية المنعقد بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المنعقد بالقاهرة عام ١٩٧١م.

٥ ـ ندوة المصطلحات القانونية المنعقدة بدعوة من اتحاد المجامع العربية بدمشق عام ١٩٧٢م.

٦ ـ المؤتمر التأسيسي لجمعية الجامعات الاسلامية المنعقد بمدينة فاس المغربية بدعوة من جامعة القرويين عام ١٩٧٤م.

٧ ـ ندوة معالجة تيسير النحو العربي المنعقدة بالعاصمة الجزائرية عام ١٩٧٥م.

مؤلفاته المطبوعة:

١ ـ مالك الأشتر ـ مطبعة الغري ـ النجف عام ١٩٤٦م.

٢ ـ شاعر العقيدة (السيد الحميري) ـ مطبعة دار الحديث ـ بغداد عام ١٩٤٩م.

٣ ـ الأصول العامة للفقه المقارن ـ دار الأندلس ـ بيروت عام ١٩٦٣م.

٤ ـ الزواج المؤقت ودوره في حل مشكلات الجنس ـ دار الأندلس ـ بيروت عام ١٩٦٣م.

٥ ـ الاشتراك والترادف ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد عام ١٩٦٥م.

٦ ـ الوضع تحديده، تقسيماته، مصادر العلم به ـ مطبعة العاني ـ بغداد عام ١٩٦٥م.

٧ ـ المعنى الحرفي في اللغة بين النحو والفلسفة والأصول ـ المطابع الأميرية ـ القاهرة عام ١٩٦٧م.

٨ ـ سنة أهل البيت ـ مكتبة المنهل ـ الكويت عام ١٩٧٨م.

٩ ـ مناهج البحث في التاريخ ـ مكتبة المنهل ـ الكويت ١٩٧٨م.

١٠ ـ فكرة التقريب بين المذاهب الاسلامية ـ مكتبة المنهل ـ الكويت عام ١٩٧٨م.

١١ ـ تاريخ التشريع الاسلامي ـ كتاب المعهد ـ معهد

الدراسات العربية والاسلامية ـ لندن ١٩٩٨م.

١٢ ـ من تجارب الاصوليين في المجالات اللغوية ـ دولة الكويت ـ ١٩٩٩م.

مؤلفاته المخطوطة:

١ ـ حبر الأمة عبد الله بن العباس

٢ ـ القواعد العامة في الفقه المقارن

٣ ـ تاريخ التشريع الاسلامي (عدا الجزء الأول فأنه مطبوع)

٤ ـ زرارة بن أعين

٥ ـ القيمة وفائضها وموقف الفقه الاسلامي منها

٦ ـ الامام علي(ع) بين حقوق الانسان وواجباته

٧ ـ مشكلة الأدب النجفي

٨ ـ زين الشباب أبو فراس الحمداني

٩ ـ إنطباعاتي عن محاضرات أستاذي الشيخ حسين الحلي(قدس)

١٠ ـ تعليقة مشتركة على كتاب مستمسك العروة الوثقى للإمام السيد محسن الحكيم(قدس)

قدّم لمجموعة من الكتب بمقدمات ضافية منها :

١ ـ كتاب «النص والاجتهاد» للامام السيد عبد الحسين شرف الدين ـ مطبعة النجف عام ١٩٥٦م.

٢ ـ كتاب «الكندي الرائد الأول للفلسفة الاسلامية ومفخرة الفكر العربي» للدكتور السيد محمد بحر العلوم ـ مطبعة النجف عام ١٩٦٢م.

٣ ـ «ديوان السيد الحميري» جمع وتحقيق وشرح الأستاذ شاكر هادي شكر ـ دار الحياة ـ بيروت عام ١٩٦٦م.

٤ ـ كتاب «القياس حقيقته وحجيته» للدكتور السيد مصطفى جمال الدين ـ مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف عام ١٩٧٢م.

٥ ـ كتاب «العقل عند الشيعة الامامية» للدكتور رشدي عرسان عليان ـ مطبعة دار السلام ـ بغداد عام ١٩٧٣م.

٦ ـ كتاب «عقد الفضولي في الفقه الاسلامي» للدكتور

السيد عبد الهادي الحكيم ـ مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف عام ١٩٧٥م.

٧ ـ كتاب «الضمان في الفقه الاسلامي» للسيد علي عبد الحكيم الصافي ـ مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف عام ١٩٧٧م.

ـ نشر العديد من البحوث والمقالات في الصحف والمجلات العراقية والعربية أمثال:

البذرة، النجف، الهاتف، الايمان، الأضواء، البيان، الدليل، الغري، النهج، العرفان، البلد، الحياة، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وغيرها.

ـ أصدر الدكتور محمد كاظم مكي كتاباً عن حياة السيد وآثاره ونشاطاته العلمية تحت عنوان «من ثمرات النجف في الفقه والأصول والتاريخ والأدب السيد محمد تقي الحكيم ـ مطبعة دار الزهراء ـ بيروت ١٩٩١م.

جانب من الحديث الذي أداره مندوب مجلة الإيمان مع سماحة العلامة الكبير آية الله السيد محمد تقي الحكيم في النجف الأشرف إثر عودته من القاهرة بعد حضوره مؤتمر البحوث الإسلامية عام ١٩٦٤م[٤]

مندوب الايمان : سماحة السيد ، من الذي تولى الدعوة الى مؤتمر البحوث الاسلامية ؟

ج ـ دعا الى عقد مؤتمر البحوث الاسلامية، مجمع البحوث وتولى الدعوة اليه فضيلة وكيل الأزهر باعتباره القائم بوظائف شيخ الأزهر اليوم وغطى الأزهر جميع نفقاته من ميزانيته الخاصة.

---

٤ ـ مجلة الايمان ـ السنة الأولى ـ العددان السابع والثامن ـ ذو القعدة وذو الحجة ١٣٨٤هـ /نيسان ومايس ١٩٦٤م.

س ـ قلتم ان مجمع البحوث هو الذي دعا الى عقد هذا المؤتمر ، فهل تتفضلون بشيء من الحديث عن طبيعة هذا المجمع ؟

ج ـ مجمع البحوث مؤسسة انبثقت فكرتها عن الأزهر الشريف في نظامه الجديد لتحل محل هيئة كبار العلماء التي كانت قائمة فيه قبل تطويره، وهو يتكون من خمسين عضواً من كبار علماء الاسلام يمثلون جميع المذاهب، وقد عرفته المادة ١٥ من نظام الأزهر بقولها : «مجمع البحوث هو الهيئة العليا للبحوث الاسلامية وتقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث وتعمل على تحديد الثقافة الاسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسي والمذهبي وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفي كل بيئة، وبيان الرأي فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة وحمل تبعة الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتعاون جامعة الأزهر في توجيهه الدراسات الاسلامية العليا لدرجتي التخصص والعالمية»، وكوسيلة من وسائل تحقيق أهدافه عقد هذا المؤتمر ودعا اليه طائفة من علماء الاسلام من أكثر البلاد الاسلامية.

س ـ هل تمثلت في هذا المؤتمر جميع المذاهب الاسلامية القائمة ؟

ج ـ لا أبعد ذلك ـ وان كنت لم أتعرف على الجميع ـ والظاهر أن مذهب الامامية قبل حضورنا كان هو المذهب الوحيد الذي لم يمثل في المؤتمر.

وقد أثار ذلك استغراب بعض الوفود من السادة الأعلام، حتى أن فضيلة الشيخ نديم الجسر العالم اللبناني المعروف ومؤلف كتاب «قصة الايمان» والأستاذ محمد سعيد العريان تساءلا عن ذلك ـ فيما حدثاني ـ باستغراب ولعل لطابع السرعة الذي تم بموجبه انعقاد المؤتمر مدخلية في ذلك.

س ـ هل دعي أحد من علماء ايران لحضور هذا المؤتمر ؟

ج ـ لم يدع أحد من علماء ايران مطلقاً وهذا ما كان موضع تساؤلي مع وكيل الأزهرالشريف فقد قلت لفضيلته بعد أن دخلنا في حديث عن انطباعاتي عن المؤتمر اني أرى ان الكثير من أكابر العلماء لم يمثلوا فيه وبخاصة علماء ايران من الشيعة الامامية،

ومنهم علماء كبار لهم أصالتهم الفكرية وجهادهم في سبيل الاسلام، فكان جوابه ان تجربة عقد المؤتمر بالنسبة الينا هي الأولى من نوعها وقد وقع فيها شيء من السرعة أوجبت اغفال بعض من كان يجب حضورهم أمثال من ذكرت، وسنعمل على تلافي الأمر في المؤتمرات القادمة ان شاء الله.

س ـ وعدنا القراء في العدد الماضي من الايمان أن نوافيهم بالكلمة القيمة التي ألقيتموها يوم حضوركم المؤتمر فهل نستطيع الحصول على صورتها ؟

ج ـ كانت الكلمة في الواقع مرتجلة ولم أحتفظ بأية صورة صوتية لها لأقدمها ـ باعتزاز ـ لقرائكم الكرام، وكان السر في عدم اعدادها مسبقاً هو يأسي من المشاركة في بحوث المؤتمر نظراً لمجيء الدعوة متأخرة وعدم وجود ما يشير فيها الى طبيعة البحوث التي يراد التحدث فيها.

وقد كدت أعتذر عن الحضور لولا الحرص على حفظ وحدة المسلمين واعتقادي بأن ما تأتي به اللقاءات بين أعلام الفكر داخل المؤتمر وخارجه لا يقل أهمية عن اعداد البحوث

ومناقشتها.

وكانت الكلمة أشبه برد التحية لرئيس المؤتمر وأعضائه الأعلام للحفاوة البالغة التي واجهونا بها قبل حضورنا الجلسة وفي أثنائها وبخاصة في الكلمة الترحيبية التي ألقاها فضيلة رئيس المؤتمر وعبر بها عن شعور الجميع باكتمال عقد المؤتمر بعد أن كان ناقصاً لعدم تمثل أحد من علماء الشيعة الامامية فيه.

س. ألا تتذكرون شيئاً من الخطوط التي انطوت عليها كلمتكم ؟

ج- ان الذي أتذكره أنني بدأت الحديث في تحية الأزهر الشريف باسم النجف الأشرف البلد الذي مرَّ على تأسيس معاهده العلمية أكثر من عشرة قرون والذي أغنى الفكر بآثاره العلمية الخالدة وبما خرج من مئات المجتهدين عبر القرون وقرنته بالأزهر في هذا المجال، ثم حملت للمؤتمر آمال وأحلام أمة في أن ينبثق عنه وضع دستور للاسلام ليعمل المؤتمرون على فرضه على حكوماتهم بالطرق المشروعة، اذ لا يكفي أن نطالب بفرض الاسلام كمنهج للحكم والغاء القوانين الوضعية القائمة، ولا نحمل في مطالبتنا أرقاماً نضعها مكان أرقام، وانتزاع هذه الأرقام

من المصادر التشريعية انما هي من وظيفة العلماء .

وقلت ـ فيما قلت ـ : اننا حكمنا بالاسلام زماناً، وباسم الاسلام زماناً، فكنا أسعد الأمم وأكثرها استقراراً ورفاهاً، وأوسعها أخلاقاً وقيماً، ثم انحرف بنا الحكام عن الاسلام واستوردوا لنا تشريعات من هنا وهناك، فماذا جنينا من ذلك، جنينا القلق والتخلف والفقر والتحلل والاستهتار فلماذا لا نحاول العودة الى الاسلام ما دامت هذه هي الحصيلة من نتائج هذه التجارب اللااسلامية في الحكم.

ثم قلت بعد ذلك: انني كنت أتمنى أن لو سبقت الدعوة لاقترحت على السادة المؤتمرين أن يحاولوا وضع دراسات للاسلام ككل وتوزيع بحوثه على الأعضاء ليخرج منها ـ بعد المناقشة والاقرار ـ كتاب عن الاسلام مترابط الحلقات وينتزع منه ذلك الدستورالاسلامي المطلوب لا أن نستمع كلمات متفرقة لا تجمعها وحدة.

وهنا استدرك السيد رئيس المؤتمر ووكيل الأزهر وأظهر أسفه لحضوري متأخراً، وقال ان قسم البحوث من المؤتمر حفل بدراسات وبحوث ذات قيمة، والدور الذي أدركتموه هو دور الكلمات ولو

اطلعتم على هذه البحوث لأرضتكم، وعقبت على كلامه بالشكر على اهتمامهم بدراسة بحوث عن الاسلام، والأسف على عدم توفيقي لمرافقة تلك البحوث، ثم عدت فشرحت ما أريد وقلت: ان الذي أريده ليست دراسة بحوث تعد على أساس تجزيئي، وانما أريد دراسة بحوث مترابطة متفاعلة يخرج منها المؤتمر بتجسيد كامل للاسلام لينتزع بعد اتفاق العلماء المؤتمرين عليها على اختلاف مذاهبهم، الدستور الاسلامي الذي ننشده وهو ما نرجو أن يتوفر عليه مجمعكم الموقر في قابل أيامه ان شاء الله.

ثم قلت: بعد ذلك إنه ليسعدني أن يرتفع باسم الشيعة الامامية صوتي محيياً هذا المؤتمر الذي ارجو أن يكون من بعض عطائه القضاء على العوامل المفرقة بين الأخوة والذي كان لأساليب الحكم المنحرف دور فيها يوم كان الحكام والمرتزقة الذين يسيرون بركابهم يفتعلون هذا الخلاف وهذه التفرقة للحفاظ على مصالحهم، وجاء الاستعمار بعد ذلك فركَّز هذه العوامل تمهيداً لتركيز حكمه في البلاد.

والآن وقد تيقظت الشعوب، وطرد الاستعمار من بلادنا، ولم يعد ينطلي علينا ما يبيته المرتزقة من وراء افتعال الخلاف، أفلا

نبحث جذور ذلك فنقضي عليها من الأساس؟

ولست أدعو في كلامي هذا الى تذويب الشيعة في السنة أو السنة في الشيعة، وانما أدعو الى أن يرتفع الخلاف بينهما الى صعيد الفكر والاجتهاد ضمن نطاق الاسلام وليبق الشيعي شيعياً والسني سنياً ما دامت الحجة قائمة لديه، أما أن ينزل الخلاف الى الواقع فيقتطع الأخ عن أخيه فهذا ما نأباه كل الاباء.

ويبدو لي أن الصراحة التي انطوت عليها هذه الكلمة كانت موضع إقرار الجميع، وهو مما يبعث في نفوسنا الآمال الكبار في امكان التوصل الى التقارب والتفاهم واحترام الفكر في الشؤون العقيدية.

س ـ ما هي أهم مقررات المؤتمر في نظركم ؟

ج ـ أهمها في اعتقادي الدعوة الى فتح باب الاجتهاد المطلق، لما فيه من اعادة الثقة الى نفوس العلماء وفسح المجال أمامهم لإعمال تجاربهم في مجالات المعرفة بدلاً من الوقوف عند تجارب السابقين التي لم يعد الكثير منها ملائماً لما تقتضيه الحجة القائمة

ولا لطبيعة الزمن.

س ـ وباب الاجتهاد ألم يكن مفتوحاً من قبل ؟

ج ـ المفتوح منه عند أرباب المذاهب الأربعة هو خصوص الاجتهاد المذهبي أي المقيد ضمن مذهب معين، وفحواه حصر نطاق الاجتهاد في أعلى مراتبه باستنباط الفروع الفقهية دون النظر في الأصول، لاعتبارهم أن الاجتهاد في أصول الفقه هو حق امام المذهب وعليهم ان يقلدوه فيها، ولكن الشيعة أخذوا بالاجتهاد المطلق أي الاجتهاد في الفروع والأصول من قديم، وظل بابه مفتوحاً عندهم الى اليوم.

س ـ وأئمة أهل البيت ألم يخطلوا لشيعتهم أصولهم التي يستنبطون منها، فلماذا اعتبر اجتهادهم مطلقاً واجتهاد غيرهم مقيداً ؟

ج ـ للجواب عن هذا السؤال ـ وقد وجه اليَّ نظيره هناك ـ فان علينا أن نحدد وظيفة أئمة أهل البيت، وهل نعطيهم صفة

الاجتهاد كغيرهم من أرباب المذاهب أو لا، ان الذي قامت عليه الأدلة أن الأئمة ليسوا بمجتهدين وانما هم مبلغون عن النبي(ص)، فما يخططونه من الأصول فانما هو من تخطيط الاسلام نفسه.

وان شئت أن تقول انهم من أصول التشريع الذي أنتهى الى حجيته اجتهاد العلماء لا أنهم مخططون للأصول، فحسابهم من حيث التبليغ حساب النبي(ص) مع فارق الوحي فقط.

س ـ كيف استقبل نبأ فتح باب الاجتهاد بين العلماء في القاهرة؟

ج ـ الذين قدر لي الاجتماع بهم من الأعلام كانوا منقسمين على أنفسهم، فمنهم من استقبله برحابة صدر، ومنهم من لم نجد الترحيب الكافي لديه.

وكمثل على ذلك قمنا بزيارة لمكتبة الأزهر وكان في ادارة مدير المكتبة بعض العلماء من الأزهريين، فاستكثر أحدهم فتح باب الاجتهاد وحمل على دعاته حملة فيها الشيء الكثير من العنف وتجاوب معه جلُّ الحاضرين.

فالتفت الى مدير المكتبة، وهو فضيلة الشيخ أبي الوفا المراغي وقلت له:

كم يوجد في مكتبتكم هذه من الكتب؟

قال: مائة وعشرون ألفاً.

قلت: وكم كان منها في عهد أبي حنيفة مثلاً؟

قال: القليل نسبياً.

قلت: ومفاهيم أبي حنفية في المجالات التشريعية، هل وصلت الينا ضمن ما وصل من كتب التشريع أو لا؟ ثم المفاهيم التي جدت عليها من قبل تلامذته وغيرهم من أنداده من المجتهدين هل وصلت الينا أيضاً؟

قال: بلى.

قلت: أمن المنطق ـ فيما ترون ـ أن نقول لشخص يملك من مصادر التشريع أضعاف ما يملكه السابقون، ويملك كل ما يملكونه من تجارب بالاضافة الى ما جدَّ عليها من تجارب العلماء في أكثر من عشرة قرون أن هؤلاء من السابقين أعلم منك، فلا يسوغ لك أن تفكر في مقابل ما يقولون ـ مع فرض اتضاح جملة من المفارقات لديه ـ في نتائج ما انتهوا اليه، وكيف يكون السابق

أعلم مع ضآلة تجاربه بالنسبة الى لاحقيه؟

قال أحدهم: والقصور فينا ماذا نصنع به؟

قلت: يا أخي وأين موضع القصور فينا؟ أترى أن الله عزَّ وجلَّ جعل الطاقات المبدعة وقفاً على عصر دون عصر؟

أليس في هذا النوع من التشكيك في امكاناتنا قتل للمواهب التي أودعها الله في النفوس؟

قال: ألا ترى أن الاشكال نفسه يرد عليكم في الأخذ عن أئمتكم، وهم ممن عاشوا في تلكم العصور؟

قلت: إن الإشكال وارد علينا لو قال أئمتنا أن ما نأتي به من أحكام فانما هو من نتائج اجتهاداتنا، أما وأنهم يصرحون بأن قول أحدهم إنما هو قول النبي(ص) وهو قول جبرئيل عن الله، وقامت الأدلة لدينا على صدق هذه الدعوى، فان هذا الإشكال ـ فيما أرى لا موضع له ـ نعم لو كنا نتقيد في نطاق اجتهادات العلماء السابقين أمثال الشيخ المفيد والشيخ الطوسي لكان حسابنا نفس هذا الحساب.

س ـ على ذكر مكتبة الأزهر الشريف ، هل وجدتم المكتبة متوفرة على مختلف المصادر عن المذاهب الاسلامية ؟

ج ـ الشكوى التي سمعتها من فضيلة الشيخ المراغي هو نقص المصادر الشيعية أو انعدامها في المكتبة نسبياً، وقد وعدته أن أعكس الأمر على سماحة مرجع الأمة وعلمها السيد محسن الحكيم عندما أعود الى النجف، فربما عمد الى تزويد المكتبة بما تحتاج اليه من المصادر وبخاصة وأن من مشاريعه الاسلامية تزويد بعض المكتبات العامة بالكتب النافعة وتأسيس فروع لمكتبته العامة مكتبة آية الله الحكيم في مختلف البلدان.

ويا حبذا لو قمتم بعمل مماثل فزودتم مكتبات النجف بما لديكم من كتب أمثال مكتبة أمير المؤمنين(ع)، ومكتبة آية الله الحكيم العامة، ومكتبة كلية الفقه، ونظائرها من المكتبات. فالتفت فضيلته وقال لمرافقنا من علماء الأزهر وهو فضيلة الشيخ عبد الفتاح بركة: أرى أن تنقل بدورك هذا الحديث الى فضيلة وكيل الأزهر والى الأمين العام لمجمع البحوث ليحققوا لنا هذا الغرض.

وقد أثرت الحديث مجدداً مع فضيلة الشيخ وكيل الأزهر

فاعتبر ذلك من أهم الوسائل للالتقاء الفكري، ووعد أن يعمل من طريقه لتهيئة كل ما يلزم لتحقيقها.

س ـ هل كانت لكم لقاءات فكرية مع قسم من العلماء من أعضاء المؤتمر أو غيرهم، وما هي طبيعة الأحاديث التي كنتم تثيرونها؟

ج ـ هذا سؤال لا يمكن استيفاء الحديث فيه في هذه الجلسة، لأن فيه تجارب ما يزيد على عشرين يوماً كانت غنية بالحوار والجدل العلمي البناء، فقد استغل اخواننا من العلماء فرصة وجود بعض الشيعة بينهم فأحبّوا استيضاح بعض المفاهيم التي تبلغهم عنهم وتصحيح بعض الأفكار، وبخاصة وأن فيهم من لم يسمع باسم الشيعة الامامية ـ مع الأسف الشديد ـ أو سمع عنهم من طريق بعض الباحثين غير الموضوعيين، وكان فيما سمعوه ما لا يسرُّ على حد تعبيرهم، وكان في السائلين من هو من أقاصي البلاد كبعض المدن الأفريقية أو الغربية.

وقد رحبت بالصراحة في توجيه الأسئلة اليَّ، وحرصت أن أجيب عنها بصراحة تامة، وفسحت المجال أمامهم للتحدث فيها محاورة أو مناظرة.

س ـ واين كانت هذه الجلسات ؟

ج ـ تختلف، فبعضها في الاسكندرية، وبعضها في القاهرة، كما يختلف عدد حضَّارها .

وأهم الجلسات التي جرت كانت جلسة الاسكندرية، وقد شهدها علماء من السودان والجزائر والأردن وليبيا ومصر والصومال وغيرها ودارت فيها أحاديث مهمة كشفت عن مدى صراحة أولئك العلماء وموضوعيتهم وانصافهم، وهناك جلسات في ندوة الأمناء ، وفي دار التقريب، وفي الأزهر، وفي بيت الدكتور طه حسين، وفي معهد الدراسات العربية، وفي كلية الشريعة، وفي كلية دار العلوم، وفي فندق أطلس وهو الفندق الذي نزلنا فيه، وفي فندق هلتون وغيرها، وكلها ثرية في عطائها الفكري والعقيدي.

س ـ ما هي المواضيع التي أثيرت في هذه الجلسات معكم ؟

ج ـ المواضيع كثيرة، بعضها اسلامية عامة: كالحديث حول طبيعة الاقتصاد الاسلامي، ونظام الأسرة في الاسلام، والاسلام

والعصر، وسد باب الاجتهاد وفتحه.

وبعضها تخص الشيعة: كالحديث حول تأريخ التشيع، والتشيع والحزبية، والفروق الكلامية بين الشيعة والسنة، والشيعة والإمامة، والشيعة والعصمة، والشيعة والمتعة، والشيعة والرجعة، والشيعة والقياس، والشيعة والصحابة، والشيعة والقرآن، والشيعة وموقفها من أحاديث أهل السنة، والشيعة والغلو، والشيعة وبعض الأحكام الفقهية، وغيرها وغيرها.

س ـ وماذا دار في جلسة الاسكندرية التي وصفتموها باهم الجلسات ؟

ج ـ ان الذي أظنه أن استيفاء الحديث فيها ـ وهو الذي استغرق عدة ساعات ـ مما لا يتسع له الوقت فعلاً، ولعلي أوفق الى أن أضع رسالة في كل ما دار من أحاديث.

س ـ والى أن تخرج هذه الرسالة فان مجلة الايمان ترجو أن تحصل على وعد لجلسة قادمة نثير فيها بعض الأحاديث حول طبيعة هذه المواضيع وما دار فيها، فانها من أهم مسائل الفكر اليوم.

والان هل لديكم كلمة تودون ان تبلغها «الايمان» عنكم ونحن في ختام هذه الجلسة ؟

ج ـ ان الذي أودُّه أن توجه الايمان عميق شكري وامتناني الى السادة العلماء أعضاء المؤتمر، وعلى الأخص القائمون عليه للحفاوة البالغة التي خصوني بها، وللأجواء الفكرية التي هيأوها لي بالتقائي بالكبار من أعلام الفكر، أخذ الله بأيدي الجميع الى ما فيه خير الأمة انه سميع مجيب.

التشيع في ندوات القاهرة[٥]

(١)

الشيعة وعصمة أهل البيت

٥ ـ مجلة الايمان ـ السنة الأولى ـ العددان التاسع والعاشر ـ محرم وصفر ١٣٨٤هـ ـ/ حزيران وتموز ١٩٦٤م.

مندوب مجلة الايمان : في الندوات التي حضرتموها في مصر وأثيرت معكم فيها أحاديث حول التشيع ذكرتم عدة مواضيع أحب الكثير من قراء (الايمان) الوقوف على طبيعة ما أثير حولها من حديث ، ومنها ما يتصل بعصمة أهل البيت ، فهل تتذكرون أين دار الحديث عنها ، وكيف ؟

السيد الحكيم ـ ان الذي أتذكره أن أهم الأحاديث التي دارت حولها كانت في الاسكندرية، وفي ندوة الأمناء في القاهرة في الأمسية التي اعتادت احياءها في ليلة الأحد من كل أسبوع، حيث يحضرها شيخ الأمناء الأستاذ أمين الخولي وتلامذته لمناقشة بعض القضايا، وقد دعيت من قبل بعض الاخوان المصريين لحضورها، واقتصر الحديث عند حضوري أو كاد على قضايا التشيع وأخذ منها حديث العصمة وقتاً كبيراً، وقد صحبني اليها من الاخوان المصريين واللبنانيين العلامة الكبير الشيخ محمود أبو ريه، والدكتور حامد حنفي داود، والأستاذ الشيخ عبد

الفتاح بركه، والأستاذ الشيخ عبد الحميد الحر.

وطبيعة الحديث الذي دار في الاسكندرية وفي ندوة الأمناء وغيرها كان متشابه الخطوط بحكم وحدة الموضوع وتشابه الأسئلة، لذلك أوثر أن أعطي خلاصة لكل ما دار فيها مع ضم بعضه الى بعض دون حاجة الى تكرار الحديث بعد ذلك عنها.

وكان ممن حضر ندوة الاسكندرية من أعضاء المؤتمر بعض العلماء الجزائريين والسودانيين والليبيين والمصريين والأردنيين والصوماليين.

وكان مبعث الحديث عنها السؤال الذي وجهه فضيلة الشيخ الجيلالي الفارسي مندوب الجزائر، وهو من أكابر العلماء الذين التقيتهم في المؤتمر ومن أوسعهم معرفة في الشؤون العقيدية، وقد وهب ملكة بيانية قلَّ نظيرها فيمن رأيت حينها.

قال الشيخ الجزائري[٦] ـ وهو يمهِّد للسؤال ـ: يسرني أن أحظى

---

٦ ـ لا أظن أنني بحاجة الى التأكيد على أن الحديث منقول بالمعنى وأنه كان يدور بين جماعة، ولهذا آثرت أن أخفي اسم السائل والمجيب أحياناً خوفاً من أن تخونني الذاكرة فأنسب أحاديث بعضهم الى البعض، اللهم عدا ما أتأكد من صحة نسبة مضمونه اليه وتبعة الغفلة أو السهو أو النسيان أتحملها وحدي والعصمة لله وحده.

بشرف التعرف على إخوان من علماء الشيعة طالما تشوقت الى لقاء أمثالهم للاتصال بهم ومعرفة واقع ما يبلغنا عن عقائدهم، فإذا سمحتم بتوجيه بعض الأسئلة عن جملة مما يبلغنا عن الشيعة لإقرارها أو تصحيح أفكارنا عنها أكون شاكراً.

قلت: يسرني ذلك وأرجو أن أكون صريحاً في الجواب عنها.

فأوماً برأسه ـ شاكراً ـ ثم بدأ الحديث بهذا السؤال:

هل من الصحيح ما يبلغنا عن اخواننا الشيعة من أنهم ينسبون العصمة الى أهل البيت كالنبي(ص) على حدٍّ سواء؟

قلت ـ وقد تركزت عليَّ عيون الملتفين حول مائدة الطعام وكنا على المائدة، وقد أهمهم فيما يبدو هذا السؤال، وربما كان فيهم من يحاول توجيهه ويتحاشى الإحراج ـ: نعم نؤمن بذلك.

قال ـ وقد بدا على صوته شيء من التهدج والاستنكار ـ وكيف؟ وما هي أدلتكم على ذلك؟!

قلت ـ مبتسماً وقد أوشكنا على الانتهاء من الطعام ـ: لا أظنك يا سيدي تكتفي مني بالجواب الاجمالي عن مثل هذه المسألة الدقيقة، ومثلك من لا يكتفي بهذا الجواب، أفلا ترى أن

نؤجل الحديث عنها الى جلسة أطول ليتسع فيها مجال الحديث؟

قال: معك حق.

ونهضنا عن المائدة، وقبل أن نتفرق قال: ألا نذهب الى (كافتريا) الفندق لنأخذ كوباً من الشاي ونتمتع بمنظر البحر الجميل؟ وكانت المقهى مطلة عليه وجميلة جداً، وقبل أن يسمع الجواب أخذ بيدي وتبعنا بقية الاخوان وتحلقنا حول مائدة مستديرة فيها، وطلبوا لنا الشاي، ثم التفت اليَّ وقال: ان في هذا المكان الهادئ الجميل متسعاً للحديث، وبخاصة وأن أمامنا من الوقت عدة ساعات لم يسبق أن شغلت بموعد من قبل اخواننا المضيفين، وانما تركوا لنا فيها حرية قضائها كيف نشاء.

قلت ـ وقد رفعت كوب الشاي الى فمي ـ: ان الاستدلال على عصمة آل البيت لا يمكن أن يستوفى بجلسة واحدة مهما طال أمدها، لكثرة ما ساقوه عليها من الأدلة التي استغرق بحثها لدى بعض المؤلفين مئات الصفحات، وكتب فيها عشرات المؤلفات، ولكن نأخذ منها ما يتسع له الوقت أخذاً بقاعدة الميسور، ولكم جميعاً حرية المناقشة فيما أعرضه من أدلة، وأظن أن صدورنا مما تتسع لها للموضوعية التي أعهدها في اخواني العلماء.

واذا سمحت ـ يا سيدي السائل ـ وجهت اليك بعض الأسئلة تمهيداً للجواب عسى أن نتفق على الأوليات.

ماذا تريد من كلمة العصمة التي أثبتّها للنبي(ص) واستكثرتها على أهل البيت(ع) كما تنطوي عليه صيغة سؤالك؟

قال: أريد بالعصمة استحالة صدور الخطأ أو السهو أو النسيان أو الكذب أو أى ذنب عليه ما دام في مقام التبليغ.

قلت: طبعاً تريد بالاستحالة هنا الاستحالة العادية لا الاستحالة العقلية.

قال: طبعاً.

قلت: ولكن الشيعة يا سيدي ـ أو جلُّ علمائهم على الأقل ـ يوسِّعون في مفهومها الى غير مقام التشريع، وربما أوضحنا وجهة نظرهم في ثنايا الحديث، ولا يهمُّ الفصل فعلاً في هذه التوسعة، اذ يكفينا لسد حاجتنا الفعلية أن نؤمن بها في خصوص مقام التبليغ.

ولكن هل تسمح لي بسؤال آخر:

ما هي الضرورة التي تدعو الى الايمان بعصمة النبي(ص) حتى

بهذا المقدار؟

قال: الايمان بالعصمة هو الذي يولّد اليقين بكون ما يأتي به انما هو من عند الله عزَّ وجلَّ، ومع تجويز الكذب والسهو والنسيان والغفلة عليه لا يبقى موضع ليقين في حكاية ما يبلّغه عن الواقع، ومع دخول التشكيك يسقط اعتبار النبوة من الأساس.

قلت ـ واسمحوا لي أن أستطرد قليلاً بهذا السؤال ـ وهل كان يفرّق الرأي العام في صدر الاسلام بين نوعين من السهو والكذب مثلاً أحدهما يقع في غير مجالات التشريع فيسوغونه، والآخر في مجالاته فيحضرونه عليه، وهل كان حكم العقل لديهم واضحاً في التفرقة الى هذه الدرجة؟

قلت: أريد أن أكتشف من اطمئنانهم ـ وهو ما كان واقعاً فعلاً ـ الى جميع ما يبلّغه النبي(ص) انسجام واقعه السلوكي في مختلف مجالاته ـ تشريعية وغير تشريعية ـ فهو لا يكذب ولا يسهو ولا يغفل ولا ينسى في جميع المجالات، وإلاّ لما أمكن اطمئنانهم اليه في مقام التشريع، وهم يرونه عرضة لجميع هذه المفارقات في غير مقامه، فالاطمئنان ـ وهو حالة نفسية ـ لا يمكن

أن يفرَق بين نوعين من الأحداث المتشابهة فينبعث عن أحدها ولا ينبعث عن الآخر، وكذلك العلم واليقين.

فايمان الشيعة بتعميم مفهوم العصمة الى مختلف المجالات هو الذي ينسجم مع الواقع النفسي لنوع الناس، وعلى هذا الواقع يبتنى حكم العقل بلزوم العصمة، لأن الغرض منها تحصيل اليقين بكل ما يأتي به، ولا يحصل اليقين من شخص يراه مجتمعه عرضة للوقوع في أمثال تلكم المفارقات، على أن اثبات ذلك كما قلنا ليس له تلك الأهمية بالنسبة الينا فعلاً.

وحسبنا أن نتفق على هذا الجزء من العصمة ـ أعني امتناع صدور الكذب والسهو والغفلة وغيرها من منافيات العصمة عليه في مقام التشريع ـ فهو يكفينا في مجال التمهيد للجواب عن عصمة أهل البيت.

وسؤال آخر: ما هي مصادر التشريع التي تؤمنون بها؟

قال: كثيرة وأهمها الكتاب والسنة.

قلت: أما الكتاب فهو ليس موضعاً لحديث، لأنه جمع ودون وحفظ على عهد النبي(ص)، وعقيدة المسلمين جميعاً أن ما بين

الدفتين هو الكتاب المنزل قرآناً لم يزد ولم ينقص فيه، فجعله مصدراً تشريعياً يرجع اليه في كل زمان ومكان أمر طبيعي جداً.

ولكن ماذا يراد بالسنة؟

قال: السنة هي قول النبي وفعله وتقريره.

قلت: وهذا ما تعتقده الشيعة أيضاً، ولكن هل أستطيع أن أسألك عن أسلوبه(ص) في التبليغ كيف كان؟

وهل كان يعتمد القرائن المنفصلة كاستعمال المخصصات والمقيدات لعموماته ومطلقاته والناسخ لبعض ما انتهى أمد مصلحته من أحكامه.

قال: طبعاً، وما أكثر ما يأتي العام في الشريعة ثم يأتي بعد ذلك مخصصه، ويأتي المطلق ثم يقيد بعد ذلك، وهكذا.

قلت: وهذا ما نعتقده أيضاً، وهي الطريقة التي يعتمدها الناس في أساليب تفاهمهم، ولو كانت له طريقة خاصة تخالف ما ألفوه لوصلت الينا عادة.

وطريقته في التبليغ كيف كانت؟

أكان يجمع الناس جميعاً عند ما يريد أن يقول أو يفعل أو

يقرّ رأياً يتصل بشؤون التشريع؟

وهل من الممكن له ذلك؟

واذا أمكن أن نتصوره عندما يريد أن يبلّغ من طريق القول، فهل يمكننا تصوره عند الفعل أو الاقرار؟ أي اذا أراد أن يفعل شيئاً أو يقرَّ جمع الناس كلهم ففعل ما يريد فعله أو أقرَّ ما يريد اقراره أمام الجميع.

ستقول بالطبع لا، وانما كان يبلغ على الطرق المتعارفة، كأن يصدر الحكم أمام فرد أو فردين وهؤلاء يكونون الواسطة في التبليغ، وعلى من لم يحضر أن يفحص عمَّا يجدُّ من الأحكام.

وهنا ذكرت مضمون كلام لابن حزم أوثر الأن أن أنقله هنا بنصِّه لقيمته.

يقول ابن حزم وهو يتناول هذه الناحية من التشريع «ولا خلاف بين كل ذي علم بشيء من أخبار الدنيا مؤمنهم وكافرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بالمدينة وأصحابه رضي الله عنهم مشاغيل في المعاش وتعذر القوت عليهم لجهد العيش بالحجاز، وأنه عليه السلام كان يفتي بالفتيا ويحكم بالحكم

بحضرة من حضر من أصحابه فقط وأن الحجة قامت على سائر من لم يحضره عليه بنقل من حضره وهم واحد أو اثنان »[٧] .

ويقول أيضاً: « وبالضرورة نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن اذا أفتى بالفتيا أو اذا حكم بالحكم يجمع لذلك جميع من بالمدينة هذا ما لا شك فيه، لكنه عليه السلام كان يقتصر على من بحضرته ويرى أن الحجة بمن يحضره قائمة على من غاب، هذا ما لا يقدر على دفعه ذو حس سليم »[٨] .

ثم قلت: واذا كان حساب السنة هو هذا، سواء من حيث الاعتماد على القرائن المنفصلة أو من حيث أسلوب تبليغها، وهي لم تدون على عهده أو عهود الخلفاء من بعده، فهل يمكن اعتبارها مصدراً تشريعياً يجب الرجوع اليه؟

قال أحدهم ـ وَلِمَ، ألم يجعلها القرآن من مصادر التشريع؟ « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »[٩]، وقال جلَّ

---

٧ ـ تمهيد لتأريخ الفلسفة الاسلامية لمصطفى عبد الرازق، ص ١٣٢ نقلاً عن الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم، ص ١١٤ .

٨ ـ تمهيد لتأريخ الفلسفة الاسلامية لمصطفى عبد الرازق، نقلاً عن الاحكام في أصول الأحكام لابن حزم.

٩ ـ سورة الحشر: ٧.

وعلا: «وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى»[١٠].

قلت: لا أشك في ذلك، ومن ينكر حجيتها فهو ليس بمسلم لانكاره أهم الضروريات الاسلامية، ولكن أسألك، ماذا يصنع من يحتاج الى معرفة حكم لم يجده في كتاب الله؟

قال: يرجع الى النبي(ص) لاستفساره عنه.

قلت: وبعد وفاته(ص)؟

قال: يرجع الى صحابته.

قلت: هب أنه وجد عامّاً عند أحد الصحابة واحتمل أن يكون له مخصص عند غيره، أو وجد حكماً واحتمل نسخه، أو مطلقاً واحتمل تقييده، فماذا يصنع اذ ذاك؟

قال: عليه الفحص من قبل بقية الصحابة.

قلت: كيف؟ والصحابة مشتتون، أيظل هذا السائل ـ وافترضه ممن دخل الاسلام جديداً ـ يبحث عنهم حتى يستوعبهم فحصا، وفيهم من هو في الحدود يحمي الثغور، وفيهم الحكام والولاة في البلاد المفتوحة بعيداً عن الحجاز، وفيهم

---

١٠ ـ سورة النجم: ٣ و٤.

المشتتون في قرى الحجاز وأريافها، وربما أنهى عمره قبل أن يصل الى ما يريد؟!

وبعد عصر الصحابة ماذا يصنع الناس؟

قال: يرجعون الى من أخذ عن الصحابة من التابعين.

قلت: اذا امتنع استيعاب الفحص عن الصحابة مع قلتهم نسبياً، فهل يمكن ذلك بالنسبة الى من أخذ عنهم وهم أضعاف مضاعفة، وكثير منهم مجهول.

واذا جاز ذلك في عصر التابعين فهل يجوز في العصور المتأخرة عنهم؟ وكيف؟

ألا ترى معي ـ يا سيدي ـ أنه ليس من الطبيعي أن يفرض على الأمة ـ أية أمة ـ مصدر تشريعي يلزمون بالأخذ به وهو غير مجموع ومدون ومحدد المفاهيم ليمكن أن تقوم الحجة به عليهم.

ثم هل يمكن لأية دولة متحضرة أن تعتبر تصرفات أحد حكامها قولاً وفعلاً وتقريراً في مدى حياته قانوناً يجب الرجوع اليه الى جنب أحد قوانينها المدونة، مع أن هذه الأقوال والأفعال والتقريرات لا تقع الا أمام أفراد محدودين وغير معروفين

تفصيلاً، ولا الأحاديث التي جرت أمامهم معروفة، وهم لم يجمعوها بدورهم ولم ينسقوها كأن يضعوا الى جنب العمومات قرائن التخصيص مثلاً وهكذا.

قال: وكيف نلائم اذاً بين اعتقادنا بلزوم الرجوع اليها، وبين الواقع الذي تذكره؟

قلت: الصور المتصورة في المسألة أربعة أعرضها، ونختار أكثرها ملاءمة للواقع العقلي والتأريخي.

الأولى: أن نسقط السنة عن الحجية ونكتفي بالكتاب الكريم، وفي هذا محق للاسلام من أساسه، وأظن أن اخواني العلماء يؤمنون معي أن الكتاب الكريم وحده لا ينهض ببيان حكم واحد بجميع ما له من خصوصيات، فضلاً على استيعاب جميع الأحكام بكل ما لها من أجزاء وشرائط.

الثانية: ان نحمِّل النبي(ص) ـ وحاشاه ـ مسؤولية التفريط برسالته بتعريضها للضياع عندما لم يدونها أو يأمر الصحابة بالتدوين والتنسيق.

الثالثة: أن نحاشي النبي(ص) عن تعمد التفريط، ونرميه بعدم

العلم ـ وحاشاه ـ بما ينتج عن اهماله التدوين من مفارقات أيسرها ضياع كثير من الأحكام الشرعية نتيجة موت قسم من الصحابة حَمَلَة السنة، أو نسيانهم أو غفلتهم ـ وهم غير معصومين بالاتفاق ـ وهكذا، هذا بالاضافة الى ما يسببه الفحص عن الأحكام من قبل المحتاجين اليها من المكلفين من عسر وحرج بسبب تشتت الصحابة وتشتت رواتهم بعد ذلك ان لم يكن متعذراً أحياناً.

الرابعة: أن نفترض له (ص) جمعها وتنسيقها وايداعها عند شخص مسؤول عنها عالم بجميع خصائصها ليسلمها الى مَن يحتاج اليها مِن المسلمين، ثم يورِّثها من بعده لمن يقوى على القيام بها من بعده كما ورثها هو، حتى تستوعب من قبل المسلمين تدويناً، ويسهل الاعتماد عليها من قبلهم ولو بالطرق الاجتهادية.

فاذا اعتبرنا السنة ـ بحكم الضرورة ـ من مصادر التشريع، ونزهنا النبي(ص) عن الجهل والتفريط برسالته، تعين الأخذ بالفرض الرابع.

ومن هنا نعلم أن النبي (ص) ما كان مسوقاً بدوافع عاطفية

وهو يؤكد ويحث ويلزم بالرجوع الى أهل بيته بأمثال هذه النصوص.

«انما مَثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

«ان مَثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل مَن دخله غفر له».

«اني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونني فيهما».

وقوله في تحذيرهم وهو يمهد لاعلان النص على الامام علي(ع) يوم الغدير «كأني دعيت فأجبت اني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»، ثم قال: «ان الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن»، ثم أخذ بيد علي فقال «من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

وقوله (ص) في خصوص الامام علي «علي باب علمي ومبين

من بعدي لأمتي ما أرسلت فيه »[١١]، وقال له: «أنت أخي ووارثي قال وما أرث منك قال صلى الله عليه وسلم ما ورث الأنبياء من قبلي »[١٢].

وفي رواية كنز العمال «ما ورث الأنبياء من قبلي كتاب ربهم وسنة نبيهم »[١٣].

قال أحدهم ـ وقد قطع عليَّ سلسلة الكلام والتوسع برواية الأحاديث ـ: نحن لا ننكر علم أهل البيت أو الامام علي ولا لزوم محبتهم والتمسك بهم بل نحن أكثر تمسكاً بهم منكم، وانما حديثنا في ثبوت العصمة لهم.

قلت: صحيح، إن حديثنا كان عن العصمة، وليس عن العلم وما أظن أننا بعدنا عن الحديث لو تركتموني أتم الكلام وأربط بين حلقاته، وما أدري ما دخل المفاضلة هنا، والتماس أكثرنا تمسكاً بأهل البيت، والحديث ليس مسوقاً لهذه الناحية العاطفية.

---

١١ ـ تراجع هذه الأحاديث وعشرات أمثالها في كتاب المراجعات، ص ٢٠ فما بعدها من صفحات.

١٢ ـ المراجعات، ص ٢١٥.

١٣ ـ انظر السقيفة للمرحوم اية الله الشيخ محمد رضا المظفر، ص٤٩، ط٢، نقلاً عن كنز العمال.

وهنا التفت أكثرهم الى القائل بنظرة عتب، ثم التفتوا الي وقالوا: تفضل فاستمر بالحديث.

قلت: فاذا كنتم قد اكتفيتم بهذا المقدار من الأحاديث - وفيها فعلاً بعض الكفاية لما نريد - فاني أحب أن أعود الى السؤال الأول الذي وجهته في بداية الحديث:

ما هو السرُّ في التزامنا بعصمة النبي(ص).

قال أحدهم: سدُّ فجوات الشك في أن ما يأتي به النبي(ص) من قول أو فعل أو تقرير فانما هو من الله عزَّ وجلَّ لا مجال فيه لرأي أو شبهة أو سهو أو غفلة أو تعمد كذب.

قلت: فاذا افترضنا أن أهل البيت كانوا هم الأمناء على السنة، وهم ورثتها بمقتضى هذه الأحاديث، ونحن مأمورون بالرجوع اليهم باعتبارهم الورثة لها، أفلا ترون أن الباعث الذي دعانا الى الالتزام بعصمة النبي ما يزال قائماً بالنسبة اليهم وهو سد فجوات الشك في أن ما يؤدونه انما هو السنة الموروثة لا آراؤهم الخاصة، ولا ما ينتجه الخطأ والنسيان والسهو وتعمد الكذب.

وان شئتم أن تقولوا ان فكرة الامامة امتداد لفكرة النبوة

وبقاء لها باستثناء ما يتصل بعوالم الاتصال بالسماء من طريق الوحي، فاذا احتاجت النبوة لأداء أغراضها ـ بحكم العقل ـ الى تحصينها بالعصمة احتاجتها الامامة لنفس السبب، ما دامت الامامة امتداداً لها من حيث أداء الوظائف العامة كاملة، وأهمها تبليغ السنة وايصالها الى الناس.

على انا في غنى عن هذا النوع من الاستدلال بالعودة بكم الى مضمون نفس هذه الأحاديث، ليكون استدلالنا بالسنة نفسها على عصمة أهل البيت بدلاً من دليل العقل، ولنختر من هذه الأحاديث ما فيه تعميم لجميع أهل البيت، كحديث السفينة أو الثقلين.

والأفضل أن نتحدث عن:

حديث الثقلين:

للتسالم على صحته عند جلّ المسلمين، ولوفرة رواته، بل ثبوت تواتره، وحسبه أن تصل طرقه لدى الشيعة الى اثنين

وثمانين طريقاً ولدى السنة الى تسعة وثلاثين[١٤] وما أظن أن حديثاً من الأحاديث التي ادعي تواترها بلغ من وفرة الرواة ما بلغه هذا الحديث.

ثم ما أظن أن كتب الحديث والتأريخ والتفسير على اختلافها قد عنيت بمثل ما عنيت بهذا الحديث، حتى بلغت الكتب التي روته في مختلف العصور المئات، وألفت فيه رسائل مستقلة[١٥].

والظاهر أن سر هذه العناية البالغة بهذا الحديث هو عناية النبي(ص) واهتمامه البالغ به، فقد صدع به في حجة الوداع بعرفة، وفي غدير خم، وبعد انصرافه من الطائف، وفي الحجرة قبيل وفاته، وهكذا.

قال أحدهم: وما نصنع بحديث (وسنتي) لو أخذنا بحديث الثقلين، ولماذا تقدِّم حديث الثقلين عليه وهو معارض له.

---

١٤ ـ أصول الاستنباط، ص٢٤، وقد ورد في صحيح مسلم، وسنن الدارمي، وخصائص النسائي، وسنن ابي داود، وسنن ابن ماجة، ومسند احمد، ومستدرك الحاكم، وذخائر الطبري، وحلية الاولياء، وكنز العمال، وغيرها.

١٥ ـ من الرسائل التي ألفت فيه رسالة أصدرتها دار التقريب بين المذاهب الاسلامية بمصر وفيها عرض لطرقه وأسانيده على اختلافها، ومنها رسالة للمرحوم آية الله الشيخ محمد حسين المظفر باسم (الثقلان).

قلت: انما نقدم حديث الثقلين لأنه حديث متواتر، ولا أقل من شهرته وصحة طرقه وعناية الصحاح والمسانيد به، بينما لم يرو حديث (وسنتي) الا أفراد محدودون، ورواياتهم لم تخضع لشرائط الاعتبار، لوقوع الارسال فيها[١٦].

وعلى فرض صحتها فأين موقع المعارضة بين الحديثين؟ وليس للمعارضة منشأ الا توهّم التدافع بين مفهوميهما، وهما لا يخرجان على كونهما من مفهومي العدد واللقب، وكلاهما ليسا بحجة في دفع الزائد، فأي محذور في أن يخلّف الكتاب والسنة والعترة، وهو ما يقتضيه الجمع العرفي بينهما.

على أن أحدهما يرجع الى الآخر لما سبق أن قلنا: من أن أهل البيت لا يأتون بغير السنة، لأنهم ورثتها والمسؤولون عن تبليغها، وكلام أئمة أهل البيت(ع) صريح في ذلك، وما أكثر ما تردد مضمون هذا الكلام على ألسنة قائلهم: «حديثي هو حديث أبي وحديث أبي هو حديث جدي رسول الله فحديثنا واحد».

ورواية السنة لا يمكن الأخذ بها على ظاهرها لامتناع جعل

---

١٦ ـ لمزيد من التفاصيل أنظر الأصول العامة للفقه المقارن للمتحدث، ص١٦٤.

مصدر تشريعي تسأل الأمة على اختلاف عصورها عن العمل به، وهو لم يدون ولم ينسق على عهده ولا العهود القريبة منه، لما في ذلك من التفريط بالرسالة وتعجيز المكلفين دون أداء وظائفها كما سبق شرحه.

فالظاهر أن الحديثين يعضد بعضهما بعضاً ويؤديان ـ بعد الجمع بينهما ـ وظيفة واحدة، مرجعها إلزام المسلمين بالرجوع الى السنة المودعة لدى أهل البيت وعدم جواز اغفالهم لها.

قال أحدهم: ومعنى ذلك أنكم لا تأخذون بغير روايات أهل البيت، وتلقون بأحاديث أهل السنة ولا تعتمدونها.

قلت: يا أخي ومن قال ذلك، ان السنة حجة على كل حال ثبتت من طريق أهل البيت أو من طرق غيرهم، شريطة أن تشتمل على ما يوجب الاطمئنان بالصدور، ولكن أهل البيت معصومون عن الخطأ في أدائها مستوعبون لكل ما يتصل بها بحكم هذه الأحاديث التي مرت عليك.

قال: المعروف عنكم أنكم لا تأخذون بأحاديث غير الامامية ولا تعتمدونها.

قلت: لا أعرف مصدراً لهذا القول، كيف وفي كتب الدراية ما يسمى بالحديث الموثق، وهو ما كان في طريقه غير امامي، واعتماد الموثقات عندنا أشهر من أن يتحدث عنه، وحسبك أن تفتح أي كتاب فقهي شيعي لترى مدى الاعتماد عليه، وما أكثر ما اعتمد فقهاء الشيعة على الأحاديث النبوية التي لم يقع في طريقها امامي واحد اذا ثبتت لديهم وثاقتها، والمقياس في الاعتماد على الحديث عندهم حصول الاطمئنان لديهم بصدوره عن المعصوم نبياً كان أو إماماً من أي طريق حصل، ومزية أهل البيت ـ كما قلنا ـ استيعابهم لكل ما يتصل بالسنة وعصمتهم في أدائها.

وبتعبير أدل: ان الرجوع الى أهل البيت قاطع للعذر وموفِّر للحجة، فاذا حصلت الحجة من غير طريقهم لزم الأخذ بها.

نعم اذا تعارض كلام أهل البيت مع غيرهم قدم كلام أهل البيت، لتقدم كلام المعصوم على غيره للقطع بحجيته بحكم أدلة العصمة، والشك ـ على الأقل ـ في حجية معارضه، والشك في الحجية من أسباب القطع بعدمها، لما ذكر وقُرِّب في علم الأصول من أن القطع مقوِّم للحجية، فمع الشك فيها يُقطع بعدمها لعدم

توفر عنصر العلم فيها.

قال: وحديث الثقلين، أين موقع دلالته من العصمة؟ وفي أي موقع من فقراته وجدتم ذلك؟

قلت: ان جُل فقرات الحديث تدل عليها، منها اعتبارهم في الحديث قرناء للكتاب «اني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي»، وحيث أن الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكذلك قرناؤه.

ومنها: جعل العصمة للأمة بالتمسك بهم عن الضلالة «ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي» وفاقد الشيء لا يعطيه بداهة، وهنا أحب أن أقف قليلاً عند هذه الفقرة لأنبِّه على ما سبق أن أشرت اليه من أن الاكتفاء بأحدهما عن الآخر ـ أعني الكتاب العزيز والعترة ـ لا يكفي في توفير الحجة القاطعة غالباً، حيث اعتبرت العاصمية على الاطلاق للتمسك بهما معاً، لا بأحدهما، بل وجدت في الضمير العائد على الموصول في ما ان تمسكتم، كناية عن تكوينهما وحدة لا تتحقق المعذريَّة أو المنجزيَّة في الجميع الا بها.

والفقرة الثالثة: وهي قوله (ص) «ولن يفترقا حتى يردا على

الحوض» فانها من أدل ما يمكن أن يساق في هذا المجال عن العصمة.

قال أحدهم: وكيف؟

قلت: أسألك اذا صدر الذنب من العبد أو سها عن أحد الأحكام مثلاً، فهل هو متفق في حالة سهوه أو عصيانه مع الكتاب أو مفترق عنه.

قال: بل هو مفترق عنه، لأن الالتقاء لا يكون الا مع التوافق والانسجام بين الحكم المتبنى في الكتاب العزيز والسلوك الذي صدر عنه، ومع المخالفة ـ مهما كان شأنها ـ لا انسجام ولا وفاق.

قلت: وأضيف الى ما تفضلتم به، إن السهو والغفلة وإن أوجبا لأصحابهما المعذرية شرعا، الا أنهما لا يمنعان من صدق الافتراق، لأن الافتراق المعنوي كالافتراق الحسي، مداره ابتعاد أحدهما عن الآخر، فالشخص الذي يقسر على ترك صديقه والابتعاد عنه يصدق عليه الافتراق عنه، وان كان معذوراً في مفارقته، وهكذا من يخالف الكتاب العزيز.

واذا صحّ هذا، عدنا الى تذكر ما سبق أن اتفقنا عليه من مفهوم العصمة التي أوجبناها للنبي(ص) ـ بحكم العقل ـ وهي استحالة صدور الكذب أو الخطأ أو السهو عليه في مقام التبليغ، لنسأل على ضوئه: هل يجوز وقوع افتراق العترة عن الكتاب لأي سبب كان وقد أخبر النبي(ص) عن عدم وقوعه بمفاد لن التأبيدية «لن يفترقا حتى يردا على الحوض»؟

قال أحدهم: وما في ذلك من محذور؟

قلت: أليس في تجويز وقوع الافتراق عليهما تجويز للكذب أو السهو على الرسول(ص) الذي أخبر عن عدم الافتراق ـ وهو في معرض التبليغ لالزامه (ص) بالتمسك بهما ـ وهو ما سبق أن اتفقنا على منافاته لعصمة النبي(ص)، فأهل البيت اذاً بمقتضى هذا الحديث معصومون وبخاصة فقرته الأخيرة.

وما يقال عن هذا الحديث، يقال عن حديث السفينة، وباب حطة، والكثير من نظائرهما.

والواقع يا سيدي أن هذه الأحاديث وأمثالها مما ورد في أهل البيت كانت مبعث حيرة ومعاناة لي في التماس بواعثها عندما حاولت أكثر من مرة أن أتحلل من رواسب العقيدة التي درجت

عليها في أهل البيت وأخضعها للمقاييس المنطقية التي أفهمها.

وكان أكثر ما يقف أمامي ويلح علي في طلب التفسير هو اختصاص النبي(ص) هذه اللمة من بين أمته، بل من بين أهل بيته بالذات، وفيهم أعمامه وأولاد عمه ليؤكد كل هذا التأكيد على لزوم اتباعهم والتمسك بهم بالخصوص، ويعتبرهم اعدال الكتاب تارة، وسفن النجاة أخرى، والعروة الوثقى ثالثة، والأمان لأهل الأرض من الاختلاف رابعة، ويختصهم بالتطهير من الرجس، ولا يكتفي دون أن يؤكد ذلك بمختلف صور التأكيد، ويتخذ شتى المحاولات لابعاد كل من يحتمل في حقه شبهة المشاركة، حتى يبلغ به الحال أن يبعد زوجته أم سلمة ـ وهي من هي في مقامها من الايمان والتقوى ـ عن المشاركة في الدخول تحت الكساء الذي طرحه عليهم وهو يتلو قوله تعالى «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»[١٧] ثم لا يكتفي أيضاً دون أن يقف في كل يوم على باب علي وفاطمة في أوقات الصلوات ليرفع صوته بتلاوته لهذه الآية، وقد أحصيت عليه تسعة أشهر

---

١٧ ـ سورة الأحزاب: ٣٣.

وهو يكررها دون انقطاع[١٨] الى عشرات بل مئات من أمثال هذه الأحاديث التي ينهى بعضها عن مخالفتهم ويحذر من عدائهم وبغضهم ويلزم باتباعهم وأخذ العلم عنهم «فلا تقدموهم فتهلكوا ولا تقصّروا عنهم فتهلكوا ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم»[١٩].

والصور العقلية التي تصورتها في مجالات التفسير ثلاثة، نعرضها لنختار أمثلها وأكثرها اتساقاً مع ما اتفقنا عليه من اثبات العصمة للنبي بالمفهوم الذي حررناه في بداية الحديث.

أولاها: الاجمال في كلامه وعدم اعطائه أية دلالة تشريعية، وهذا ما تأباه صراحة النصوص بلزوم اتباعهم والتمسك بهم والتعلم منهم واثبات العصمة لهم، وقد مرت نماذج منها قبل قليل وهي ليست موضعاً لنقاش.

الثانية: أن نسلّم الدلالة التشريعية، الا أننا لا نسلّم صدورها عن الله عزَّ وجلَّ، بل نعتبرها صادرة عن النبي(ص) لأسباب

---

١٨ ـ أنظر الاصول العامة للفقه المقارن للمتحدث، ص١٥٠.

١٩ ـ مضامين هذه الأحاديث حفلت بها كتب الحديث الشيعية والسنية، اقراها وعشرات من أمثالها في كتاب (دلائل الصدق، ج٢، لآية الله الشيخ محمد حسن المظفر؛ والمراجعات لآية الله السيد عبد الحسين شرف الدين؛ والأصول العامة للفقه المقارن للمتحدث.

عاطفية محضة اقتضتها علقته القريبة بهذا النفر من أهل بيته.

وهذا النوع من الحمل مما تأباه أدلة العصمة، لأن دخول العاطفة وتحكُّمها في مجالات التشريع مما يسقط فكرة العصمة من أساسها، وأي ذنب أعظم من أن يفتئت على الله عز وجل ما لم يقله مجاراة لعواطفه وميوله، وحاشاه.

على أن هذا النوع من الاغراق في العاطفة تجاه نفر معين مع وجود غيرهم من أهل بيته لو كان له ما يبرره في الواقع النفسي، فليس هناك ما يبرر التعبير عنه ـ بهذه الأساليب ـ لمجافاته لما عرف به النبي(ص) من الخلق العظيم، وهل من الخلق أن يلحف في ابراز عاطفته تجاه نفر معين ليس فيهم ما يميزهم عن سائر أقربائه، وفيهم من هو أكبر منهم كالعباس مثلاً، أليس في هذا النوع من ابراز العاطفة تحدٍّ لهم لا مبرر له، وهو لا يصدر من أقل الناس عادة؟

الثالثة: أن نسلّم دلالتها التشريعية، ونعود بها الى أسبابها المنطقية، وأهمها ما توفروا عليه من العلم والعصمة، وهذه المحاولات التأكيدية كان مبعثها تركيز هذا المعنى في النفوس وترويضها لتقبله.

فاذا امتنع الفرض الأول لصراحة النصوص، وامتنع الثاني لأدلة العصمة في النبي(ص)، تعيَّن الأخذ بالفرض الثالث والتعبد به.

قال أحدهم: وهل كانت هذه الصفات، أعني العلم والعصمة واضحة لدى معاصريهم، أي أن واقعهم التأريخي هل ينسجم مع ما يفهم من هذه النصوص؟

قلت: هذا أهم سؤال يمكن أن يوجه ـ يا أخي ـ لأنه يفتح أمامنا مجال التطوير في الاجابة على أمثال هذا النوع من الاستدلال.

فقد كان نوع الباحثين في الشؤون العقيدية عندما يريدون أن يتحدثوا أويستدلوا على أية مسألة من مسائل الفكر التي ترتبط بشؤون العقيدة فانما يتحدثون عما يجب أن يكون، ولا يفكرون فيما هو كائن.

واذا فكروا فيه، فانما يفكرون في اخضاع ما هو كائن لما يجب أن يكون.

ولست أعرف فيهم ـ فيما أعرف ـ من حاول تقييم أدلته على أساس من عرضها على الواقع المحسوس فيما يكون له واقع

محسوس منها ـ ويلتمسون مدى انسجامها معه، ثم ينطلقون من وراء ما ينتهون اليه الى الحكم على صحة الدليل وعدمه.

وقد كانت لي محاولة ـ عندما كنت مدرساً لمادة التأريخ الاسلامي في كلية الفقه ـ أن أجعل من وسائل النقد المضموني لبعض الأحاديث عرضها على طبيعة زمنها، ثم بيئتها، ثم الشخص الذي قيلت فيه، فان انسجمت معها جميعاً آمنت بصحتها، اذا لم يكن في أسانيدها ما يوجب التوقف.

وكأنك ـ يا أخي ـ تريد أن تشير الى نفس هذا المقياس في ايمانك بهذه الأحاديث.

ومثل أدلة عصمة أهل البيت ـ آيات وأحاديث ـ اذا كان فيها مجال لتردد ما من قبل بعض من عاصروا ولادتها حيث أنها افترضت في الأئمة واقعاً لم يخضع اذا ذاك لتجربة كاملة، فهي أشبه بالتحدث عن عوالم الغيب، فلا يقتضي أن يظل التردد قائماً بعد أن أخذ الأئمة من أهل البيت واقعاً تأريخياً عرضهم في مختلف مجالات السلوك والمعرفة، وبوسع الباحث أن يقطع تردده بدراسة سيرهم والحكم لهم أو عليهم على ضوء ما ينتهي اليه.

والشيء الذي وددت التنبيه عليه: أن التأريخ لم يكن في يوم

ما ملكاً لهم ولشيعتهم وأتباعهم يسيرونه كيفما يريدون، وانما كان ـ كشأنه في أي عصر ـ ملكاً للفئة الحاكمة تسيره كيفما تريد.

ونحن نعلم أن أهل البيت كانوا يشكلون في جميع أدوار حياتهم جبهة المعارضة للسلطة الزمنية، المعارضة الشريفة التي لا يمكن أن تهادن على منكر تراه، كما لا تبخل في ارسال كلمة معروف في مشورة أو سلوك.

وكانت السلطة تعلم منهم ذلك وتحسب له حسابه، وربما حسبت له أكثر من حسابه، فاتخذت له الحيطة الكاملة، وكثيراً ما تستبدُّ بها الأوهام والظنون فتوسع في تخيلاتها الى أن هذا البيت ما يزال يعد عدته للعمل على الاستيلاء على السلطة والنهوض بالحكم، وهم يعلمون أن الحكم حق من حقوقه المفروضة.

وكان من وسائل الحيطة التي اتخذتها السلطات على اختلافها محاربة شيعتهم وأتباعهم، وضرب نطاق الحصار الاقتصادي عليهم، ومنع وصول الحقوق والأموال اليهم جهد ما يستطيعون، وجعل العيون والرقباء لاحصاء حتى عدد أنفاسهم.

وربما توسعوا فحملوا أئمة أهل البيت الى عواصمهم ليكونوا تحت الرقابة المباشرة، وقد يدخلونهم السجن ليحولوا بينهم وبين ما يتخيلونه من نشاط، وقد انتهت حياة أكثرهم بالاغتيال والقتل.

وبالبداهة ان فكرة العصمة والأعلمية كانت من أهم الركائز لفكرة التشيع منذ وجد التشيع لأهل البيت، وكان أهل البيت أنفسهم يصرحون بذلك.

ومن الطبيعي أن يبعث هذا النوع من التصريح الحزم واليقظة في مدوني التأريخ لتسليط الأضواء على كل ما يتصل بحياتهم الخاصة أو العامة للعثور على شيء من التناقضات بين واقعهم وما يدَّعون، لتكون أهم وثيقة بيد السلطة للاجهاز بها على جبهة المعارضة والقضاء عليها بسهولة.

وما أيسر الاختلاق لو كان هناك مجال لتزيد واختلاق.

ولكن التأريخ ـ وهو ملك أيديكم فعلاً وبوسعكم تتبع أحداثه ـ لم يحفل ـ فيما قرأت منه ـ بتسجيل حادثة واحدة على أحد من أئمة أهل البيت «الاثني عشر» تتنافى مع دعوى العصمة أو الأعلمية.

وهناك شيء ـ وددت التنبيه عليه ـ وقد سبق أن نبهت عليه في مبحث سنة أهل البيت من كتاب «الأصول العامة للفقه المقارن»[٢٠] التمست تفسيره الطبيعي فلم أعثر عليه، وعسى أن يعثر سادتي على تفسير طبيعي له ـ وهو تولي بعض الأئمة منصب الامامة وهم صغار السن، بل كان بعضهم لا يزيد على العشر سنوات حين توليه لمنصبها الخطير.

ونحن نعلم أن ابن ثمان أوعشر مثلاً مهما بالغنا في اعطائه صفة النبوغ والبعقرية وأحطناه بالبيئة الصالحة والتربية السليمة، فاننا لا نستطيع أن نوفِّر له صفة الاستيعاب لمختلف مجالات المعرفة، وهي المدعاة لأئمة أهل البيت(ع)، أو صفة العصمة عن ارتكاب كل ما يتنافى مع أحكام الشريعة مهما كانت المغريات، لاستحالة أن يتسع الوقت لذلك ولقصورنا نحن عن مجالات الاستيعاب.

وقد تولى الامامان الجواد والهادي(ع) الامامة وهما ابنا ثمان، وكانت المعارضة في عهدهما للحكم على أشدها، حتى اضطرت

---

٢٠ ـ أنظر الأصول العامة للفقه المقارن للمتحدث: مبحث سنة أهل البيت، ص ١٧٥ وما بعدها.

المأمون أن يظهر التنازل عن الحكم للامام الرضا(ع) والإمام والد الجواد(ع)، حتى اذا أبى عليه ألزمه بقبول ولاية العهد كسباً لعواطف الملايين من شيعته، ثم عمد اليه بعد ذلك فقتله بالسم لئلا ينتهي الحكم اليه.

وكانت أقصر الطرق وأيسرها للقضاء على المعارضة لو كان هناك مجال ـ أن يعمد الحكام الى هذين الامامين الصغيرين فيعرِّضونهما الى شيء من الامتحان العسير في بعض وسائل المعرفة أو السلوك، ثم يعلنون أمام الرأي العام عن سخف الشيعة التي ما تزال تؤمن بفكرة الامام المعصوم، وقد ولَّت عليها أئمة صغاراً هم بهذا المستوى من المعرفة أو الانحراف والعياذ بالله.

وأظن أن القضاء على فكرة التشيع باعلان فضيحتهم من هذه الطريق أجدى على الحكام من تعريض أنفسهم لحرب قد يكونون هم من ضحاياها.

وهؤلاء الأئمة لو كانوا في زوايا تحجبهم عن أعين النظام، وكان لا يمكن الوصول اليهم الا من طريق أتباعهم لأمكن أن يبالغوا في اضفاء المناقبية عليهم، كما هو الشأن في بعض أئمة الباطنية، فكيف وهم مصحرون بعقائدهم ومبادئهم وسلوكهم أمام

الرأي العام، وبمرأى من السلطة وبمسمع، وما لنا نطيل ونحن نعلم أن دعوى استيعاب المعرفة لا يمكن أن يثبت عليها انسان متعارف مهما كان له من العلم والسن، لأن مجالاتها أوسع من أن يحيط بها عمرنا الطبيعي، والامتحان كفيل باحباط كل دعوى من هذا القبيل، ومثلها دعوى العصمة، بل أشد منها لتحكم كثير من العوامل اللاشعورية، وهي غير منطقية في سلوك الانسان.

وهاتان الدعويان كانتا شعاراً لأهل البيت وشيعتهم منذ عهد رسول الله(ص)، ولم نسمع بتسجيل حادثة واحدة تتعارض مع طبيعة ما ادعياه فيهما.

وما أكثر ما حفل التأريخ بتعريض هؤلاء الأئمة كباراً وصغاراً لأشق أنواع الامتحان من قبل السلطة وأقطاب مخالفيهم من العلماء، وبخاصة مع الامام الجواد(ع) مستغلين صغر سنه.

وما رأيك بأمثال يحيى بن أكثم ـ ومن هو من أكابر علماء عصره ـ عندما يأمره الخليفة باعداد أعقد المسائل وأخفاها، ثم يتعرض بها لطفل لا يتجاوز عمره العشر، فهل ينتظر أن يخرج الطفل معافى من هذا الامتحان، اقرأ بعض هذه المحاورات في الصواعق المحرقة لابن حجر وغيره، وانظر تصاغرالسائل فيها

أمام هذا الطفل الصغير، والتماس تفسيرها الطبيعي.

قال أحدهم: أتظن أن هذا غير طبيعي، وعيسى بن مريم كان أصغر منه عندما بعث نبياً، والقرآن صريح في ذلك.

قلت: يا سيدي، وهذا ما تقول به الشيعة، ولكن بعثة عيسى وهو بهذه السن هل تملك تفسيرها الطبيعي؟

الحقيقة يا سيدي أن قضايا الدين لا تخضع دائماً للمتعارف من المقاييس فمن آمن بالدين آمن بكل ما يأتي به من شؤون الغيب، وان خرج على ما لديه من تجارب ومقاييس.

وأخبار العصمة والأعلمية بعد ثبوتها بالضرورة عن النبي(ص)، فانها تصلح أن تكون من أعظم دلائل النبوة لصدقها في الأخبار عن عوالم الغيب، وبخاصة لأمثالنا من الناس الذين أدركوا صدقها، وتحققت لديهم مضامينها بعد أن أخذ أهل البيت واقعاً تاريخياً محسوساً لدى الجميع، وقد رسمت أمثال هذه الأحاديث أهم خطوطه عندما قالت «اني تركت فيكم الثقلين ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض».

ثم قلت ـ وقد أوشكت الشمس أن تغرب ـ: لقد أخذت من أوقاتكم كثيراً وأفسدت عليكم نزهتكم في الاسكندرية لكثرة كلامي، فاسمحوا لي أن نؤجل الحديث في بقية الأدلة على العصمة الى جلسة أخرى ان أمرتم.

قال أحدهم: بالعكس لقد كانت هذه الجلسة ثرية لما دارفيها من حوارعلمي مفيد.

قلت: ولكن لي سؤال أحب أن أوجهه الى الأخوين السيدين الجزائري والصومالي: هل فيما سمعتم من عقائد اخوانكم ما لا يسر سماعه، أوقل ما يتنافى مع مبادئ الاسلام؟

قالوا: كلا انما هو من الاسلام وضمن اطاره العام، والخلاف فيه لا يتجاوز الخلاف في كل مسألة اجتهادية تقع ضمن نطاق تعاليمه المقدسة.

قلت: هذا يكفينا فعلاً ولا يضرنا بعد ذلك أن نختلف، ولكم بعد هذا أن تتأملوا في نتائج ما انتهى اليه الحديث، وتواجهونا بملاحظاتكم عليه في جلسة أخرى ان رأيتم فيه ما يوجب ذلك.

قال أحدهم: دعنا نتأمل.

وافترقنا ونحن أكثر الفة واحتراماً لبعضنا من ذي قبل.

والآن ياأخي: (والخطاب لمندوب الايمان) ألا نكتفي من جلستنا هذه بهذا المقدار لئلا نثقل على قرائكم الأعزاء بأكثر من هذا الحديث.

مندوب الايمان: التفت ـ شاكراً ـ وقلت ولكن بشرط أن نفترق على موعد للقاء آخر غني بأمثال هذه الأفكار.

وقبل أن نفترق، وددت أن أسالكم هل رأيتم ما نشرته مجلة الأزهر في عددها التاسع منسوباً الى ممثل النجف الأشرف في المؤتمر؟

السيد الحكيم: رأيتها هناك وكنت في زيارة لرئيس تحريرها الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات، وقد داعبت المحرر ـ بعد أن أنكرت عليه مضمون ما نسبه اليَّ ـ انكم جريتم فيه معي على طريقة (ولا تقربوا الصلاة) واعتذر الكاتب وطلب مني أن أكتب تصحيحاً لما نشر لينشره في العدد العاشر، وكتبت التصحيح برغبة من الأستاذ الزيات، وجاء العدد العاشر فلم نجده فيه، وما

ندري لأي سبب أغفلوه؟!

وحيث أن مجلة (الايمان) الغراء نشرت ملخصاً في عددها الماضي لمجموع ما قلته في المؤتمر، فلا أرى حاجة لنشر شيء جديد حول الموضوع، والمسألة هينة ما دام حسن النية متوفراً لدى الجميع والله من وراء القصد.

التشيع في ندوات القاهرة[٢١]

(٢)

الشيعة والخلافة

---

٢١ ـ مجلة الايمان ـ السنة الثانية ـ العددان الثالث والرابع ـ ١٣٨٥هـ /١٩٦٥م.

مندوب الايمان : في المواضيع التي ذكرتم أنها أثيرت معكم من قبل العلماء الذين التقيتموهم هناك . ما يتعلق بالشيعة والخلافة . ، وبما أن لهذا الموضوع ارتباطاً قويا بما نشر في العدد السابق عن الشيعة والعصمة ، فهل ترون أن نثير التحدث فيه لنربط بين حلقات هذه الأحاديث الحساسة .

السيد الحكيم : لا مانع لدي شريطة أن لا نثقل على القراء كما أثقلنا عليهم في الحديث الماضي.

مندوب الايمان : بالعكس ان القراء رحبوا بهذه الأحاديث ترحيباً منقطع النظير ، ولدينا كتب تشكر المجلة على اهتمامها باستقصاء كل ما دار في الندوات من أحاديث ، وهم في أشد الشوق لمواصلة نشرها ، وما أكثر ما تلقينا كلمات الحث والمطالبة والتشجيع من قبلهم .

والان هل تتذكرون اين جرى الحديث حول الشيعة والخلافة ؟ ومع مَن من الأعلام ؟

السيد الحكيم : جرى هذا الحديث في أكثر من ندوة، وكان له في ندوتي الاسكندرية والقاهرة ـ وهما اللتان سبق التحدث عنهما في موضوعنا السابق ـ مجال واسع.

وهناك جملة من الأعلام شاركوا في الحديث عنهما وبخاصة بعض من شهدوا الندوتين ونحن نجمع ـ كما صنعنا في الحديث الماضي ـ جملة ما دار من أحاديث عنها سواء ما وقع منها في الندوتين المذكورتين أم غيرهما ملتزمين نفس الخطة التي سلكناها في الحديث الماضي.

س. هل تتذكرون كيف بدأ الحديث عن هذا الموضوع ؟!

ج ـ بدأ الحديث فيما أتذكر في بعض الندوات عندما وجَّه اليَّ أحد الأعلام هذا السؤال الهام:

اذا كان في الأدلة التي ذكرتموها ما ينهض باثبات العصمة لأهل البيت فليس فيها ما يثبت الامامة بمفهومها العام الذي يتسع

لخلافة الرسول (ص) وتخطئة من لم يعطهم هذا الحق، وأي محذور في أن نؤمن بالفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، فنعطي حق التشريع للأئمة المعصومين مثلاً، وحق التنفيذ لغيرهم ممن تختارهم الأمة لادارة شؤنها العامة.

س ـ وماذا كان جوابكم عن هذا السؤال ؟

ج ـ قلت للسائل إنَّ سؤالك هذا مما يثير أمامي عدة تساؤلات أظن انني اذا قُدِّرَ لي أن أوفق للاجابة عنها فستتضح وجهة نظر الشيعة في هذه المسألة، وربما تجمعت هذه الأسئلة حول سؤالين رئيسين:

يتعلق أولهما في طبيعة الحكم في الاسلام، وهل فيها ما يسيغ الفصل بين السلطتين التنفيذية والتشريعية؟

وعلى تقدير الفصل في هذه المسألة فهل هناك ما يلزم باضفاء العصمة على رأس الحكم؟ وما هي الأسباب الداعية الى ذلك؟

وهذه الأسئلة كما ترون انما تتعلق فيما يجب أن تكون عليه طبيعة الحكم من وجهة عقلية في التشريعات الاسلامية.

وثانيهما : يتعلق في طبيعة ما هو كائن، وهو التساؤل عن واقع ما صدر عن النبي(ص)، وهل كان منسجماً مع ما ننتهي اليه في الاجابة عن الأسئلة السابقة؟ ولماذا لم يتقبله كثير من المسلمين اذ ذاك؟

أما الجواب عن السؤال الأول: فان الذي أعتقده أن طبيعة الحكم في الاسلام تختلف جذرياً عما عليه طبيعة الحكم في الأنظمة الأخرى غير السماوية.

فاذا أمكن فصل السلطتين عن بعضهما في الأنظمة الحديثة وبخاصة الديمقراطية منها، فان ذلك غير ممكن بالنسبة الى الاسلام زمن التشريع، بل اذا أمكن تصوره في الاسلام نفسه ـ بعد استكمال تشريعاته وتدوينها ـ فان ذلك لا يمكن تصوره بالنسبة اليه في الفترة التي نؤرخ لها وهي أشبه بما يسمى في عرف الثورات الحديثة بفترات الانتقال.

قال أحدهم: وكيف؟

قلت: هذا واضح لأن الاسلام لا يعترف بوجود شخصية فردية أو جماعية لها حق التشريع في مقابل ما يشرعه الله سبحانه وتعالى من أنظمة وقوانين، وحظر ذلك على البشرية جمعاء، قال

الله سبحانه وتعالى «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً»[٢٢]، واذا عرفنا أن الله جعل لكل حادثة حكماً، ولم يغفل في تشريعاته شيئاً مما يحتاج الى حكم من أفعال العباد الا وشرع له حكمه الخاص كما هو فحوى ما ورد في ذلك من حديث، اتضح لنا انعدام السلطة التشريعية في الدستور الاسلامي للبشر وحصرها في الله عز وجل، والاقتصار على السلطة التنفيذية لتلكم الأنظمة والقوانين السماوية فيمن يدرك هذه الأنظمة ويعرفها معرفة تامة من رسول وغيره.

وهذا بخلاف الدساتير الوضعية لامكان فصلهما فيها، وذلك باعطاء حق التشريع مثلاً للبرلمانات أو مجالس الثورة، وحق التنفيذ لمجلس الوزراء، على أن رأس الحكم فيها لا بدَّ وأن يستقطب السلطتين معاً برجوعهما اليه لتوقف تحقيقهما على مصادقته واقراره.

وهنا أودُّ أن أسأل: ألا تعتقدون معي أن وظيفة رأس الدولة هي حماية الدستور وما يتفرع عليه من أنظمة دولته وقوانينها

---

٢٢ ـ سورة الاحزاب: ٣٦.

الخاصة والعمل على سلامة تطبيقها على جميع المواطنين؟

قال أحدهم: طبعاً.

قلت: ألا ترون أن طبيعة الحماية تستدعي احاطة الحامي بواقع ما يحميه والتوفر على معرفة كل ما يتصل به، والا لما أمكن تصور معنى للحماية بدون ذلك، اذ لا معنى لحماية المجهول من التجاوز عليه وهو غير محدد له، فحامي الدستور مثلاً، كيف يمكن له حمايته ككل اذا كان يجهله كلاً أو بعضاً، وما يدريه تجاوز بعضهم على بعض ما يجهل منه، ما دام مجهولاً لديه.

قال: بالطبع.

قلت: فحامي الاسلام اذاً يجب أن يكون محيطاً بكل ما يتصل بأنظمته وقوانينه.

قال: وما يمنع أن يكون ذلك متوفراً في غير أئمة أهل البيت؟

قلت: أن الذي يمنع عنه هو ما سبق التحدث فيه مفصلاً في المحاورة السابقة حيث تساءلنا ـ ونحن نتحدث عن عصمة أهل البيت ـ عن مصادر المعرفة لحقائق الاسلام في عصر الصحابة، وانتهينا الى أنهما: الكتاب والسنة، وقلنا ان الكتاب ـ وان دون

على عهد الرسول وحفظ ـ الا أنه لم يحط بجميع خصائص التشريع وبكل تفاصيلها الكلية والجزئية، ومن هنا احتجنا الى السنة لبيان ما أجمل فيه، والتعرض لمختلف القيود والشرائط والموانع المعتبرة في أحكامه مما لم يتعرض لها الكتاب الكريم بشيء من التفصيل، ثم التعرف على الأحكام التي لم يذكرها الكتاب العزيز.

وقلت: ان السنة لم تدوَّن على عهده، ولم يلزم هو بتدوينها وتنسيقها بضم القيود الى مطلقاتها، والمخصصات الى عموماتها، فالاحاطة بها وبكل ما يتصل في شؤونها تكاد تكون ممتنعة لدى غير أهل البيت، حيث أودعها (ص) لديهم، وألزم بالرجوع اليهم بأمثال أحاديث الباب والثقلين كما سبقت الاشارة اليه.

على أني لا أعرف أحداً من الصحابة قد ادعى لنفسه المعرفة المستوعبة سواء منهم الخلفاء أم غيرهم، بل رأيت فيهم من يحتاج الى أن يدل على معنى آية في كتاب الله، ومن يجمع الصحابة لاستشارتهم في حكم من الأحكام يجهل واقعه، وما أكثر ما أرسل الخليفة عمر قولته المشهورة: لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن.

قال أحدهم: ألا ترى أن هذا منتهى الحرص والمحافظة على أحكام الشريعة من قبل هؤلاء الخلفاء، والآ لما كانت أية ضرورة للاستفسار من قبل الامام والصحابة عما يجهلون من أحكام.

قلت: ان الذي يبدو لي أننا نسينا مواقع النقض من كلامنا، فالفحص والحرص على تطبيق ما يعلم من الأحكام بعد العثور عليها لا ينافيان الجهل أحياناً، وقد قلت ان حماية المجهول لا يمكن تصورها مطلقا.

والسؤال في بعض الأحيان عما يجهل من الأحكام لا يعني السؤال في جميع الأحيان، ولا استيعاب كل ما يتصل بأحكام الشريعة، وكيف ندفع احتمال الخطأ والسهو والغفلة وحمل الصحة لتصرفات الأخرين مما يوجب عدم الفحص عنها، وأمثال ذلك.

ومن أراد من السادة الأعلام أن يتتبع ما صدر عن الخلفاء من الأحكام التي لا تلتقي مع النصوص ـ كتاباً وسنة ـ فليرجع الى أمثال كتاب آية الله السيد عبدالحسين شرف الدين (النص والاجتهاد) وكتاب (الغدير) للعلامة المحقق الشيخ عبد الحسين الأميني ليعرف مدى ما استدرك عليهم المعاصرون لهم من الصحابة وغيرهم في ذلك كله.

قال أحدهم: ان ما ذكرتموه لا يفرض أكثر من ضرورة توفر صفة العلم في الحماة، لا العصمة كما افترضتموها لهم.

قلت: هذا صحيح لو كان عنصر الحماية لا يحتاج الى أكثر من العلم، أما اذا ضممنا اليه ـ لضمان وجودها واستمرارها ـ ضرورة تمثل المسؤول لواقعها تمثلاً نفسياً يأبى عليه التنكر لها مهما كانت البواعث له، احتجنا الى العصمة.

قال أحدهم: وماذا يعني هذا الكلام؟

قلت: ان الذي أعنيه أن لا يختلف الشخص ـ الذي يقوم بدور الحماية ـ في واقعه النفسي عنه في واقعه العقلي، أي أن لا يحمل في أعماقه من الرواسب ما يتنافى مع طبيعة الرسالة التي آمن بها عقلياً لئلا تستأثر بعض الرواسب في توجيهه الوجهة المعاكسة في حالات غفلة الرقيب أو تخديره بغضب أوغيره.

وأنتم ولا شك تعلمون أن الاسلام جاء بثورة مستوعبة لمختلف أبعاد الانسان، وقد شنها حرباً لا هوادة فيهاعلى جملة ما كان سائداً في عصره من مفارقات.

وان الكثير ممن عاشوا تلكم المفارقات هم الذين اعتنقوا

الاسلام وناضلوا ودافعوا عنه، وأكثرهم كانوا قد اعتنقوه ببواعث عقلية وربما لغيرها من أسباب لا تمت الى الواقع النفسي بصلة.

ولكن الرسالة ـ أية رسالة ـ لا يمكن أن تأتي من بداية ثورتها على جذور ما قامت عليه من مفارقات، وبخاصة ما ترسب منها في أعماق الانسان، بل هي تحتاج الى أن تمر بأجيال يتخفف كل جيل لاحق من رواسب جيله السابق بعد تعويضه بما جدَّ من قيم ومفاهيم نتيجة لقيام الثورة الرسالية الجديدة.

ووظيفة الرسالة في بداية أمرها كبت تلكم الرواسب المعاكسة باعطاء طاقة جديدة للضمير أو الأنا ليمنع من تسربها الى الشعور والاستئثار بكل مجالات السلوك، والا فان استئصالها لا يمكن أن يتم بعد أن أخذت مكانها بين عوالم اللاشعور.

ومن هنا كنا نرى بروز الكثير من الرواسب اذا تخدَّر الضمير أو وقف تأثيره بفعل من بعض العوامل النفسية كالغضب والطمع مثلاً، وهنا ذكرت مضمون كلام لأحمد أمين يحسن أن نرجع الى نصِّه في كتابه فجر الاسلام.

مندوب الايمان: ثم تناول السيد كتاب فجر الاسلام من أحد رفوف المكتبة واستخرج منه ص٩٧ وقرأ فيها ما يلي «وبعد فالى

أي حدّ تأثر العرب بالاسلام، وهل انمحت تعاليم الجاهلية ونزعات الجاهلية بمجرد دخولهم في الاسلام، الحق أنه ليس كذلك وتاريخ الأديان والآراء يأبي ذلك كل الاباء».

«فالنزاع بين القديم والجديد، والدين الموروث والحديث يستمر طويلاً ويحل الجديد محل القديم تدريجاً وقلَّ أن يتلاشى بتاتاً».

«وهذا ما كان بين الجاهلية والاسلام فقد كانت النزعات الجاهلية تظهر من حين الى حين وتحارب نزعات الاسلام، وظل الشأن كذلك أمداً بعيداً ولنقص طرفاً من مظاهر هذا النزاع».

«جاء الاسلام يدعو الى محو التعصب للقبيلة والتعصب للجنس ويدعو الى أن الناس جميعاً سواء «ان أكرمكم عند الله أتقاكم» وفي الحديث «المؤمنون أخوة تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم» وخطب النبي(ص) في خطبة الوداع «يا أيها الناس إن الله تعالى أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء، كلكم لآدم وآدم من تراب، ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى، وروى مسلم أن النبي(ص) قال: «من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية أو يدعو الى عصبية أو ينصر عصبية فَقُتل

قَتل قتلة جاهلية » وآخى رسول الله(ص) بين المهاجرين والأنصار بعد ما كان بين المكيين والمدنيين من عداء » .

« ومع كل هذه التعاليم لم تمت نزعة العصبية وكانت تظهر بقوة اذا بدا ما يهيجها ، أنظر الى ما روي في غزوة بني المصطلق أن رسول الله(ص) خرج في جماعة من المهاجرين والأنصار فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فكان بينهما قتال الى أن صرخ يا معشر الأنصار ، وصرخ المهاجر يا معشر المهاجرين ، فبلغ ذلك النبي(ص) فقال ما لكم ولدعوة الجاهلية ، فقالوا كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال رسول الله(ص) دعوها فانها منتنة ، فقال عبد الله بن أبي بن سلول « لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » .

« أفلست ترى أن نزاعاً تافهاً لسبب تافه هيج النفوس ودعاهم الى النزعة الجاهلية وتذكر العصبية المكية والمدينة »[٢٣] .

ومن يتصفح التأريخ يجد المئات من الشواهد أمثال ما ذكره الدكتور أحمد أمين ، ولعل أهم نقاط الضعف التي أجهز بها الخليفة أبو بكر على الأنصار في سقيفة بين ساعدة هو اثارة هذه

---

٢٣ ـ ـ فجر الاسلام ، ص٩٧ وما بعدها .

النزعة في أعماقهم عندما ذكّرهم بالقتلى والجراح التي لا تداوى ما بينهم في الجاهلية، وكان قد خدَّرها الاسلام عندما ألف بين قلوبهم، ولقد ذكرت هنا مضمون حديث رواه الجاحظ يحسن أن نعود الى نصه ففيه أعظم الدلالة على صدق ما ذكره الدكتور أحمد أمين.

مندوب الإيمان: وهنا تناول السيد كتاب البيان والتبيين للجاحظ واستخرج ص١٨١ من جزئه الثالث وقرأ فيها «عيسى بن نذير قال: قال أبو بكر (رض): نحن أهل الله وأقرب الناس بيتاً من بيت الله وأمسهم رحماً برسول الله(ص)».

«ان هذا الأمر ان تطاولت اليه الخزرج لم تقصر عنه الأوس، وان تطاولت اليه الأوس لم تقصر عنه الخزرج، وقد كان بين الحيين قتلى لا تنسى، وجراح لا تداوى، فان نعق منكم ناعق فقد جلس بين لحيي أسد يضغمه المهاجري ويجرحه الأنصاري».

«قال ابن دأب فرماهم والله بالمسكتة»[٢٤]، وكان من نتائج تأثير هذه الخطبة التي دللت على مدى ما يملكه الخليفة من خبرة بالواقع النفسي، أن حولت ذلك الواقع الذي أبعده الاسلام الى

---

٢٤ ـ البيان والتبين، لأبي عمرو الجاحظ: ٣/١٨١.

أعماق اللاشعور ـ بفضل تأليفه بينهم ـ الى واقع شعوري متجسّد يعمل عمله في الفرقة بينهم، وهكذا أجهز عليهم من أقرب نقطة ضعف، وحملهم على التسابق الى بيعته خشية أن يستأثر بالخلافة أحد الفريقين، وكان أسرع الفريقين اليها أبناء الأوس لأن المرشح الوحيد للأنصار اذ ذاك كان سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج كما تعلمون.

فاذا صحَّ هذا من وجهة نفسية عدنا الى ما سبق أن قلناه من أن عنصر الحماية الذي يجب توفره في رأس الدولة يستدعى أن لا يحمل رأس الدولة في أعماقه أية راسبة على خلاف المفاهيم الثورية الحديثة، والا لكانت الرسالة هي أو بعض مفاهيمها عرضة للتصدع متى استأثر الباعث اللاشعوري في توجيه صاحبه الوجهة المعاكسة.

وضمان هذه الناحية موقوف على أن يتولى دور الحماية شخص لا يملك أية راسبة في أعماقه على خلاف هذه المفاهيم الثورية، بالاضافة الى ايمانه العقلي بكل ما صدعت به من أفكار وأحكام.

قال أحدهم: وكيف يتهيأ مثل ذلك الشخص ليقوم بهذا الدور؟

وهل في المسلمين اذ ذاك شخص لم يعش فترة من حياته في الجاهلية ليتولى دور الحماية كما تريدون.

قلت: ياسيدي، اذا كانت الفكرة سليمة فان على الاسلام أن يهيىء مثل ذلك الشخص اذا كان يريد لنفسه ضمان التطبيق السليم، وأنتم تعلمون أن قيمة الرسالة لا تبرز بمجرد التشريع، وما قيمة تشريع لا يضمن له تطبيق سليم يتمشى مع الأهداف الأساسية التي تبرر وجوده، وتقديم آلاف الضحايا في سبيل تركيز ذلك الوجود.

قال أحدهم: ان هذا صحيح جداً ولكن على الصعيد النظري فحسب لما فيه من طوبائية تتجافى مع الواقع العملي لنوع الناس.

قلت: قد يكون ذلك كما تقولون لو كانت الرسالة غير سماوية وكانت المخططات لها من صنع بشر عادي يكون معرضاً للخضوع للعوامل الذاتية في تصرفاته، ولا أقل من خطئه واشتباهه.

أما وأن الرسالة سماوية ومشرعها هو الله عزَّ وجلَّ فليس هناك ما يمنع من وضع مخطط لتهيئة مثل أولئك الأشخاص وايداع ذلك الى النبي(ص) لتنشئتهم وفق ذلك المخطط.

على أن دعوى الطوبائية لا أفهم لها دلالة في أمثال هذه المواضع، مع ادراكنا لدور التربية السليمة في بناء الأشخاص وفق المفاهيم التي يراد لها التطبيق، ونحن نعرف أن الشخص الذي يربّى على أسس معينة لمفاهيم وقيم خاصة اذا أبعد عن كل ما يتجافى مع تلكم المفاهيم منذ صغره يكاد يستحيل عليه أن يصدر في تصرفاته عمّا يخالفها، وأمامنا في واقعنا المعاش كثير من القيم الحضارية السائدة في بعض البلدان المتحضرة لا يمكن لأهلها أن يخرجوا عليها، وبعض هذه القيم انتزعت من واقع مفاهيمنا الاسلامية كالصدق والأمانة وغيرهما.

على أن الذي يكفينا الآن ـ ونحن نتحدث عما يجب أن يكون ـ هو اعترافنا بصحة هذه الفكرة على الصعيد النظري لننتقل بعد ذلك الى دراسة ما هو كائن، ثم نرى مدى انسجامه مع هذا الواقع الذي انتهينا اليه.

وأول ما يلفت نظرنا ونحن نستعرض هذا الجانب أن نرى في بعض تصرفات النبي(ص) ما يبحث عن تفسير ما دامت تصرفاته ـ بحكم رسالته ـ تصرفات كلها هادفة.

وأول ما يبحث عن التفسير احتضانه للامام علي(ع) من بداية

حياته والاشراف على تربيته بنفسه وهو صبي، ثم وضع مخطط لابعاده عن جميع الأجواء المعاشة اذ ذاك لأمثاله من صبيان قريش، يقول الامام علي(ع) وهو يتحدث في نهجه الخالد (نهج البلاغة) عن طبيعة تربيته في هذه الفترة:

«وضعني في حجره - يعني رسول الله(ص) - وأنا ولد، يضمني الى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسّني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه... ولقد كنت أتّبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري»[٢٥].

وهذه الخطوط التي رسمها الامام لأسلوب تربيته على يد النبي(ص) ليست طبيعية لو لم يكن الهدف منها أسمى من وجهها البارز، فهي تريد له الابعاد عن جميع الأجواء التي كانت سائدة اذ ذاك، مع بنائه على لون من السلوك يختلف عنها في جملة ما له من خطوط، فهو (ص) يرفع في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمره بالاقتداء به، ولا يكتفي بذلك دون أن يصحبه حتى لمواقع تحنثه وعبادته في غار حراء، فليس غريباً بعد ذلك أن لا يكون

---

٢٥ - نهج البلاغة للامام علي بن أبي طالب باعتناء صبحي الصالح ص٣٠٠.

لهذا الصبي من الرواسب الجاهلية ما يتجافى مع الأسس الجديدة التي رسمها النبي(ص) للسلوك، وأكّد عليها الاسلام بعد ذلك في جملة ما جاء به من تشريعات.

ومن هنا كان من الطبيعي جداً أن يكون هذا الصبي أسرع الناس الى الايمان بالرسالة التي أرسل بها صاحبه لملاءمتها لواقعه النفسي، ولقد تظافرت جملة من الروايات على تسجيل هذا الواقع، ومنها ما أثر عن النبي(ص) أنه قال «لقد صلت الملائكة عليَّ وعلى عليٍّ سبع سنين وذلك أنه لم يصل معي رجل غيره»[٢٦] ومن مأثور ما نقل عن الامام نفسه قوله في احدى خطبه «اللهم لا أعرف أن عبداً لك من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيك ثلاث مرات، لقد صليت قبل أن يصلي الناس سبعاً»[٢٧] ثم شدَّه النبي(ص) الى هذه الرسالة شدّاً ومكنها من نفسه عقيدة يفنى من أجلها ويعيش.

وفناؤه في الدفاع عنها وعن صاحبها وهو في مكة ثم في غيرها أشهر من أن يتحدث عنه.

---

٢٦ ـ أسد الغابة ١٨/٤ .

٢٧ ـ مسند احمد بن حنبل ٩٩/١.

والعقيدة متى تمكنت من أعماق صاحبها ولم يكن لها في نفسه ما يزاحمها من الرواسب المعاكسة، استحال عليه عادةً الخروج على تعاليمها أو التخلف عما تدعو اليه وتتطلبه من تضحيات، وهو معنى العصمة الذي نريده ونذهب اليه.

ونجاح هذا الجانب من الإعداد على يد النبي(ص) هو الذي أوجب أن يؤهله «وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يوحى» للخلافة من بعده، ويعدَّ النفوس لتقبل ذلك مبكراً.

وأول نصٍّ وصل الينا في هذا الشأن ما روي على لسان غير واحد من المؤرخين قوله (ص) لعشيرته الأقربين وقد أمر بانذارهم «اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم اليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم... قال علي(ع) فقلت أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال: إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا» يقول الراوي «فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع»[٢٨].

ثم توالت بعد ذلك التصريحات منه (ص) مثل: «لكل نبي

---

٢٨ ـ تاريخ الطبري ٢/٦٢.

وصي ووارث وان علياً وصيي ووارثي »[٢٦] وقوله لعلي[٤] « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبي بعدي »[٣٠] الى عشرات أمثالها ، بالاضافة الى نوع من التصريحات يتخذ طابع الابعاد لجميع الفوارق بينه وبين الامام الا ما يتصل منها بالنبوة، فهو (نفسه) في آية المباهلة، وهو الذي يؤدي عنه لأنه منه، كما في حديث براءة[٣١] وحديث « أنت مني وأنا منك »[٣٢]، وحديث « يا علي الناس من شجر شتى وأنا وأنت من شجرة واحدة، ثم قرأ رسول الله : « وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد »[٣٣].

والنص الذي اتخذ طابع البلاغ العام هو نص الغدير وكان بعد عودته من حجة الوداع ، وقد صوره ابن عباس ورسم أجواءه بقوله « لما أمر الله رسوله أن يقول بعلي فيقول له ما قال « فقال

---

٢٩ ـ الرياض النضرة : ٢/١٧٨ .

٣٠ ـ صحيح البخاري : ٣/١٣٥٩ ، حديث ٣٥٠٣ ، كتاب بدء الخلق، باب غزوة تبوك .

٣١ ـ أنظر مسند أحمد بن حنبل : ١/٣٣٠ .

٣٢ ـ سنن الترمذي : ٢/٢٩٩ .

٣٣ ـ مستدرك الصحيحين : ٢/٢٤١ .

يا ربي ان قومي حديثو عهد بجاهلية، ثم مضى بحجه فلما أقبل راجعاً ونزل بغدير خمٍّ أنزل عليه «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» الآية فأخذ بعضد علي فقال أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم، قالوا بلى يا رسول الله، قال اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأعن من أعانه واخذل من خذله وانصر من نصره وأحب من أحَبه وأبغض من أبغضه»[٣٤].

ومن هنا يتضح اختيار النبي(ص) لعلي ما كان وليد الصدفة، وانما كان وليد إعداد وتهيئة ذات جذور عميقة تقتضيها طبيعة الحماية للمبادئ القويمة التي أنزلت من السماء لهدم أمة وبنائها من جديد، وعلي هو الوحيد الذي كان اذ ذاك لا يحمل في رواسبه مخلّفات الجاهلية بفضل احتضان النبي(ص) له منذ صغره وابعاده عن جميع أجوائها المعاكسة بما هيأ له من وسائل التربية السليمة.

---

٣٤ ـ لمزيد من الاطلاع أنظر كتاب الغدير للشيخ عبد الحسين الأميني، وأنظر سنن ابن ماجة، ص١٢، ومستدرك الصحيحين: ٣/١٠٩، ٥٣٣، ومسند أحمد ١/١١٨ وغيرها كثير.

فالفكرة اذن سليمة، وليس فيها شيء من الطوبائية كما نتخيل، ويصدقها واقع الامام علي(ع) وسلوكه المنسجم معها داخل الحكم وخارجه، كما يصدقها واقع خلفائه من أهل البيت(ع) الذين أعدَّ لهم الامام نفس الأسلوب الذي اتخذه النبي (ص) في تربيته الخاصة، وقد سبق في أحاديثنا عن العصمة والتماسها في واقعهم التأريخي ما يلقي الأضواء على ذلك.

قال أحدهم: ان الذي يقف دون تقبل هذه الفكرة وما اعتضدت به من نصوص، هو موقف الصحابة منها ومن نظائرها، أتراهم لم يدركوا هذا الواقع الذي تقوله الشيعة، أم أدركوه ولم يتقيدوا بالأخذ بمدلوله مع شدة علاقتهم به (ص) وحرصهم على الأخذ بتعاليمه؟ أليس في هذا الكلام شيئ من الطعن في الصحابة؟

قلت: اذا سمحت لي يا سيدي أن أتحدث بشيء من الصراحة، سألتك عن رأيك في الصحابة، وهل انكم تنسبونهم الى العصمة كما يعتقد الشيعة في أئمتهم؟

قال: لا، انهم ليسوا بمعصومين، ولكنهم لا يتعمدون المعصية لأنهم عدول، والمسألة هنا لا تحتمل الخطأ مع هذه النصوص.

قلت: ورأيك هذا هل ينطبق على الجميع أم أنهم يختلفون من حيث المستوى الايماني باختلاف مدة الصحبة وشدة الارتباط بالمفاهيم الجديدة وعدمه؟

قال: ماذا تقصد بهذا الكلام؟

قلت: أقصد التساؤل عما اذا كان اعتقادكم قائماً على التساوي بين من دخل الاسلام من بداية البعثة واعتنق مبادئه ودافع عنها، وبين من أسلم عام الفتح مثلاً.

قال: أما من حيث عدم تعمُّد المعصية فنعم، وأما من حيث التفاوت في المنازل القريبة فلا.

قلت: اذاً تعتقدون أن الصحبة ولو كانت لفترة يسيرة كافية لإحداث ملكة العدالة في نفوس أصحابها.

قال: نعم.

قلت: ولكن النصوص صريحة في خلاف ذلك، فان كثيراً من آيات الكتاب العزيز نسبت النفاق الى بعضهم أمثال قوله تعالى: «ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم»[٣٥]، وقوله عزَّ اسمه: «واذ زاغت الأبصار وبلغت

---

٣٥ ـ سورة التوبة: ١٠١.

القلوب الحناجـر وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً»[٣٦] الى أمثالها من الآيات.

فهل كان هؤلاء من الصحابة أو من غيرهم؟ وأين ذهبوا بعد وفاته (ص)؟ وهل عينهم التأريخ بأسمائهم لنخرجهم من قائمة الحساب؟

على أن التاريخ حافل بتجاوز بعض الصحابة على البعض ونيل بعضهم من البعض، فهل كان هؤلاء كلهم على حق؟

قال أحدهم: ما بال الشيعة لا يتركون الطعن في الصحابة والتجاوز عليهم أحياناً.

قلت: يا أخي لا تقل هكذا فنحن لسنا في موضع استفزاز أو إثارة عواطف، وليست المسألة مسألة شيعة وسنة، وانما هي مسألة واقع تترتب عليه ثمرات في مجالات العمل والسلوك.

ان عيب الشيعة يا سيدي أنهم لا يستطيعون أن يجمعوا

---

٣٦ ـ سورة الاحزاب: ١٠ و ١١ و١٢.

الصيف والشتاء على سطح واحد، فالصحابة لديهم مختلفون في المستوى، وفي أعمال بعضهم ما لا يعرفون له وجهاً، وهم وان وجدوا في الصحبة فضلاً لأصحابها لا يعادله فضل الا أنه الفضل الذي لا يعفي صاحبه من المسؤولية.

ولكن ما رأيك لو قال لك أحد الشيعة ـ ولو على طريق الاستفزاز أو الدعابة ـ ان أول من فتح باب الطعن في اصحابة هم السنة لا الشيعة فماذا يكون جوابك عن هذا الأمر.

قال: وكيف.

قلت: أسألك هل هناك أعظم من رمي المسلم بالارتداد؟

قال: لا.

قلت: إن البخاري ـ وهو من أقدم من ألّفوا في الحديث ـ عقد باباً في صحيحه لأخبار الحوض، حشده بالكثير من الروايات التي تنسب اليهم أو الى بعضهم الارتداد، أقرأها مفصَّلة في هذا الباب.

قال: انا لا نمنع وجود مرتدين أمثال من حاربهم أبو بكر لردتهم.

قلت: ولكن بعض هذه الروايات لا تستثني منهم الا مثل همل

النعم كناية عن القلة وتنسب الارتداد الى الأكثر، ثم ذكرت مضمون رواية لأبي هريرة يحسن أن أعود الى نصها الآن.

مندوب الإيمان: وهنا أخرج السيد الجزء الثامن من صحيح البخاري وقرأ فيه «حدثني ابراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح حدثنا أبي قال حدثني هلال عن عطاء بن سيار عن أبي هريرة عن النبي(ص) قال بينا أنا قائم اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلمَّ، فقلت أين قال الى النار والله، قلت وما شأنهم، قال انهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلمَّ قلت أين قال الى النار والله، قلت ما شأنهم، قال انهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم الا مثل همل النعم»[٣٧].

ان الذي يبدو لي ياسيدي أن أسلافنا كانوا أوسع أفقاً منا وأقرب الى الموضوعية عندما حشدوا كل ما عثروا عليه من الأحاديث التي اطمأنوا الى صدورها وتركوا للباحثين أمر تمحيصها ولم يجعلوا رواسبهم مقياساً لما يروون وما يتركون،

---

٣٧ ـ صحيح البخاري: ٨/ ١٢١، كتاب الرقاق، الحديث: ٦٠٩٩.

وكان محدثو الشيعة والسنة سواء من هذه الناحية، فليس من الانصاف أن نحمِّل الجميع مسؤولية رأي لم يصرحوا جميعاً بتبنِّيه، وحجتنا في ذلك مجرد العثور على رواية في كتاب للسنة أو الشيعة تتعلق في الصحابة أو غيرهم ويستشم منها الطعن مثلاً.

قال أحدهم ـ وقد وجَّه نظرة عتاب الى المعترض ـ لقد أبعدتنا عن صميم الموضوع، فالسؤال الذي سبق أن أثرناه حول موقف الصحابة من هذه النصوص ما يزال قائماً.

أترى أن الصحابة وفيها مثل أبي بكر وعمر لم يدركوا هذا الواقع الذي أدركه الشيعة وفهموه من هذه النصوص؟ أم أدركوه وانحرفوا عنه جميعاً.

قلت: ان الذي أدعيه ـ يا سيدي ـ ان الصحابة جميعاً فهموه ـ كنص ـ بالمستوى الذي فهمه الشيعة، الا أن موقفهم منه كان مختلفاً جداً، وهم ينقسمون في هذا الأمر الى أقسام ثلاثة، وليس في أحد هذه المواقف تشكيك بالنص.

القسم الأول: وهم الذي يشكل الأكثرية، وقوامه مسلمة الفتح من قريش وبعض المنافقين الذين أشارت اليهم الآيات

السالفة، كان للرواسب التي عرضها الدكتور أحمد أمين في حديثه السابق موقع كبير من نفوسهم، ومثل هؤلاء لا يسهل عليهم تقبل خلافة الامام علي(ع) بالذات، لأمور عدة أهمها اعتقادهم أن الخلافة اذا دخلت هذا البيت فلن تخرج منه بعد ذلك، وفي هذا ما فيه من قتل لطموح من يرى لنفسه أهلية الحكم، وبخاصة من زعماء القبائل الذين كانوا ينفسون على هذا البيت مكانته الجديدة التي ارتفع رصيدها بالاسلام، والنزعة القبيلة ما تزال متحكمة في أعماق الأكثر، وقد رأيتم فيما سبق أن حادثة بسيطة كادت أن تثير حرباً بين المهاجرين والأنصار بباعث من هذه النزعة، ومن هنا انطلق شعار «وسَّعوها في قريش تتسع»، وقد عكست هذا الواقع محاورة للخليفة عمر مع عبد الله بن عباس يذكرها ابن الأثير في جزئه الثاني، ويحسن أن نقف على ما يتصل منها بطبيعة موضوعنا، يقول ابن عباس ـ من حديث فقال ـ يعني عمر «يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد صلى الله عليه وسلم فكرهت أن أجيبه، فقلت: ان لم أدر فان أمير المؤمنين يدريني».

«فقال: عمر كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا

على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت».

«فقلت له يا أمير المؤمنين ان تأذن لي بالكلام وتمطَّ عني الغضب إن تكلمت، قال تكلم، قلت: أما قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حين اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود.

وأما قولك انهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة، فان الله عزَّ وجلَّ وصف قوماً بالكراهة فقال ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم»[٣٨].

فهذه المحاورة ولها نظائر تعكس موقف قريش من النص وتخوفها من تطبيقه ووقوفها دون ذلك رغم علمهم بأنه مما أنزله الله كما يبدو من حديث ابن عباس.

وهذا الاصرار من قبل قريش على الوقوف دونه هوالذي فتح منفذ الاجتهاد أمام الخليفتين أبي بكر وعمر وسعد بن عبادة

---

٣٨ ـ ابن الأثير: ٣/٦٣-٦٤ م

وأضرابهم وهم الذين يشكّلون القسم الثاني في أن يتداركوا الأمر كل من زاويته، فسعد جمع الأنصار لترشيح نفسه أو التماس مرشح للخلافة منهم ـ بعد أن أحس بخطر ما تريده قريش ـ وقد خشي من تغلبهم على الأمر، وعداؤهم لواتريهم من الأنصار معروف.

وعمر أصر على اختيار أبي بكر لاعتقاده بأنه أفضل العناصر التي لا يمكن أن تجمع الكلمة الا عليه ما دامت قريش لا تجتمع على علي.

أما القسم الثالث ويتمثل بأمثال سلمان وعمار وأبي ذر، الزبير والمقداد وبني هاشم، فقد ظلوا مصرّين على ضرورة تطبيق النص واختيار علي للخلافة الى اللحظة الأخيرة، فالمسلمون اذاً ما كانوا ليشكُّوا في النص على علي، أو لا يرونه واضحاً، الا أن قريشاً لا تريد أن تجمع النبوة والخلافة في بيت، والأنصار يخشون من تمرد قريش وغلبتهم.

قال أستاذ كبير في الندوة: ان الذي أراه أن الحق في الخلافة انما هو للامام علي والأئمة من بعده، وأن الخلافة لو وصلت الى الامام بعد النبي بلا فصل لما انتهت بعد ذلك الى أمثال يزيد بن

معاوية والوليد من الأمويين.

ولانتهى الاسلام الى غير ما انتهى اليه اليوم، ولكن ما رأيكم وقد انتهى عصر الأئمة ولم يعد فعلاً مجال لعودتهم للحكم أن نسدل الستار على الماضي ونتناساه ونعود اخواناً يجمعنا كتاب الله وسنة نبيه(ص) دون أن نسمع كلمة تفرقة أو خصام من أجل عقيدة.

قلت: ان هذه الدعوة هادفة وسليمة جداً، ولكن ان لم يكن للماضي علاقة بحاضره، أما والشيعة تعتقد بضرورة الرجوع الى الأئمة من أهل البيت ورثة السنة النبوية، فان حاضرها لم ينقطع عن ماضيها، بل هي مضطرة للتشبث به وعلى الأخص فيما يتعلق بامامة أهل البيت، ولكن ما رأيكم أن نضيف الى ما ذكرتم ضرورة الرجوع الى السنة الموروثة لدى أهل البيت والتي ألزم بها النبي(ص) بحديث الثقلين بالاضافة الى ما صحَّ من غير طريقهم، ويكون ذلك موضعاً لاتفاق الكلمة ووحدتها مع ما في ذلك من الحيطة للدين كما تعلمون.

فهرس الموضوعات

ـ مقدمة الناشر ٧
ـ المقدمة ١٣
ـ المؤلف في سطور ٢٧
ـ تحية النجف الأشرف للمؤتمر والأزهر ٣٩
ـ الدعوة الى فتح باب الاجتهاد المطلق ومدى الاستجابة لها ٤٦
ـ الأئمة (ع) ليسوا بمجتهدين وإنما هم مبلغون عن النبي (ص) ٤٧
ـ طبيعة اللقاءات الفكرية ومكانها ٥٢

ـ التشيع في ندوات القاهرة (١)
ـ الشيعة وعصمة أهل البيت (ع) ٥٧
ـ الاستدلال على عصمة أهل البيت (ع) ٦١
ـ معنى العصمة ٦٣
ـ توسع مفهوم العصمة عند الشيعة ٦٤
ـ مصادر التشريع ٦٥
ـ هل كان اسلوب النبي (ص) في التبليغ يعتمد القرائن المنفصلة؟ ٦٦

ـ عدم تدوين السنة في عهدي النبي (ص) والخلفاء الراشدين ٦٨
ـ هل يمكن ان يفرض على الأمة مصدر تشريعي يلزمها الأخذ به
وهو غير مدوَّن او مجموع؟ ٧٠
ـ الاجابة على السؤال السابق وحصر صور الاجابة بـ:
١ ـ اسقاط السنة عن الحجية والاكتفاء بالكتاب العزيز ٧١
٢ ـ تحميل النبي (ص) ـ وحاشاه ـ مسؤولية التفريط برسالته ٧١
٣ ـ رمي النبي (ص) ـ وحاشاه ـ بنتائج إهماله للتدوين ٧١
٤ ـ ان يكون النبي قد استودعها عند متخصص مسؤول عنها عالم
بجميع خصائصها ٧٢
ـ تعين الأخذ بالفرض الرابع ٧٢
ـ النبي (ص) يلـزم الأمة بالرجوع الى أهـل بيته والأحاديث المأثـورة
في ذلك ٧٣
ـ فكرة الامامة امتداد لفكرة النبوة ٧٥
ـ الاستدلال بالسنة على عصمة أهل البيت (ع) ٧٦
ـ حديث الثقلين ٧٦
ـ وفرة رواة هذا الحديث وعناية كتب الحديث والتاريخ والتفسير به ... ٧٧
ـ لماذا يقدم حديث الثقلين على حديث «وسنتي» والجواب عنه ٧٧
ـ هل يعتمد الشيعة أحاديث أهل السنة؟ ٧٩
ـ دلالة حديث الثقلين على العصمة ٨١
ـ لماذا خص النبي (ص) أهل بيته بعشرات الأحاديث دون أعمامه

وأولاد عمه؟ ٨٤
ـ بواعث هذا الاختصاص وتفسيره بصور عقلية وهي:
١ ـ ان يكون كلامه (ص) مجمل وليس له دلالة تشريعية ٨٥
٢ ـ ان تكون له دلالة تشريعية صادرة عنه ـ وحاشاه ـ دون الله
عز وجل ٨٥
٣ ـ ان تكون دلالته تشريعية وغير متوفرة الا فيهم (ع) ٨٦
تعين الصورة الثالثة ٨٧
ـ هل كانت العصمة والاعلمية واضحة في أهل البيت لدى معاصريهم؟
والاجابة عن هذا السؤال ٨٧

ـ التشيع في ندوات القاهرة (٢)
ـ الشيعة والخلافة ٩٩
ـ الأدلة المذكورة في الحديث السابق تثبت العصمة لأهل البيت (ع)
دون الامامة ١٠٢
ـ والجواب عن هذا التساؤل بالاجابة عن:
ـ هل الاسلام يسيغ زمن التشريع فصل السلطتين التنفيذية
والتشريعية؟ ١٠٣
ـ هل هناك ما يلزم باضفاء صفة العصمة على رأس الحكم،
وما هي الأسباب الداعية الى ذلك؟ ١٠٣
ـ التساؤل عن طبيعة ما هو كائن أو عن واقع ما صدر عن النبي (ص)

ولماذا لم يتقبله كثير من المسلمين؟ ١٠٤

ـ الامامة امتداد للنبوة ١١٥
ـ تأكيد النبي لفكرة الامامة بالأحاديث النبوية الشريفة ١١٦

ـ البلاغ العام ١٢٠
ـ موقف الصحابة من نص النبي على الامام علي (ع)..... ١٢٢
ـ الخليفة عمر وابن عباس ١٢٨
ـ ضرورة رجوع المسلمين الى الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ١٣١